منتديات
سور
الأزبكية
www.books٤all.net

أساليب الحجاج في القرآن الكريم

نماذج من الحجج الاستنباطية

د. زكريا بشير إمام

الناشر
المركز القومي للإنتاج الإعلامي

www.booksdall.net

سلسلة دراسات في القرآن الكريم

(٢)

أساليب الحجاج في القرآن الكريم

نماذج من الحجج الاستنباطية

د. زكريا بشير إمام

مطبوعات
الحركة الإسلامية الطلابية
إبريل ١٩٩٥م - ذو القعدة ١٤١٥هـ

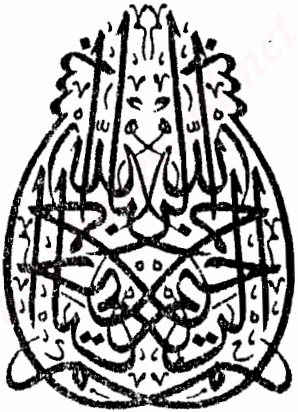

بسم الله الرحمن الرحيم

أساليب الحجاج في القرآن الكريم

نماذج من الحجج الاستنباطية

توطئة:

لا شك أن القرآن الكريم أوسع كتاب على الأرض، لأنه يحتوي على أشمل وأكمل وأوسع خطاب على الأرض، ذلك لأنه رسالة الله الأخيرة إلى العالمين كافة، في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من أجل ذلك كان الخطاب القرآني خطاباً عاماً في أوسع معنى للعموم والشمول. فهو خطاب الله تعالى إلى الوجود كله، ما أدركنا وما لم ندرك (إلى عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك والشهادة، فلقد خاطب القرآن الكريم الملائكة والروح وخاطب النفس والعقل، وخاطب الجن والناس والسموات والأرض وما فيهما).

ولقد جاء هذا الخطاب القرآني مفعماً بالبصائر والأنوار، فهو يهدي إلى سواء السبيل وتنقشع به الظلمات وتزول به

الأوهام والضلالات وتتبدد معه الظنون الكاذبة ولا يبقى معه غير الحق الصحيح المستيقن الذي لا ريب فيه. قال تعالى:

- ﴿ **الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه ..** ﴾

وقال تعالى:

- ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ سورة النساء: (٤: ١٧٤) .

وقال تعالى:

- ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ سورة الفرقان (٣٥: ٣٢)

هذا الخطاب العام الشامل، اتخذ من أساليب الحجاج والاستدلال والجدال والإقناع ما هو جدير بكتاب أنزله رب العالمين وخالقهم. فجاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من أساليب الجدال الحق والإقناع الحسن إلا أحصاها واستخدمها، من دون أن يفرط قيد أنملة في الوفاء بشروط الاستدلال اليقيني الذي يؤدي إلى العلم المستيقن الذي لا ريب فيه ولا مراء . ولقد أشار القرآن إلى الاستدلال الصحيح المؤدي إلى العلم اليقيني تارة:

- بالبرهان. ﴿ قل هاتوا برهانكم .. ﴾ وتارة

- بالحجة. ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم ﴾ وتارة

- بالجدال الحسن. ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾

ولقد فضلنا أن نشير إلى أساليب الاستدلال في القرآن (بالحِجاج) أي إقامة الحجة الصادقة، إيثاراً لها على مصطلحات بديلة، مثل الجدل أو الجدال أو غيرها حتى لا تختلط بمصطلحات الفلاسفة، فللجدل مفهوم عند إفلاطون، وله مفهوم عند أرسطو ولكل منهما أساليب في الجدال وفي الاستدلال وفي الإقناع.

فالجدل الصاعد والجدل النازل عند إفلاطون يفيد العلم القاطع اليقيني ويفيد المعرفة الحقة بالمثل والخير الأقصى من وراء المثل. أما الجدل عند أرسطو فلا يفيد العلم اليقيني إلا ما كان منه قياساً برهانياً، ينطلق من مقدمات أولية ضرورية صادقة. ولكنه لا يسمي هذا البرهان جدلاً وإنما يسميه علماً. فالجدل عند أرسطو ما كان منطلقياً من مقدمات مشهودة، وليست بالضرورة صادقة ضرورية الصدق. بل يكفي أن تكون ذائعة الصيت عند الناس، أما على الأكثر أو التساوي أو على الأقل.

كذلك فإن أساليب الإقناع عند الفلاسفة، تختلف عن أساليب الإقناع في القرآن الكريم، وإن كان القرآن الكريم ظاهرة معجزة في تحقيق الإقناع الحق لكل من يلقي السمع إليه وهو شهيد القلب حاضر الوجدان، صافي الجنان، مشتعل الفطرة والقريحة .

قال تعالى:

- ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله..** ﴾ .

فإذا كان الفلاسفة اليونانيون العمالقة، يدعون إلى الإقناع بأحسن الوسائل فيعملون على استمالة العقل باستخدام المنطق السليم والكلام المقنع "logos" وكذلك يستخدمون المثل الأخلاقية العليا ومكارم الأخلاق على أنها قيم مطلقة يؤثرها كل ذي قلب سليم وفطرة سوية "ethos" فأنهم كذلك يشحذون العاطفة الإنسانية "pathos" وهذه هي طرق الاقناع الثلاثة الرئيسية التي نوه بها أرسطو في كتاب (الخطابة)، فإن القرآن الكريم استخدم كثيراً من الوسائل الصادقة، القوية التأثير على المخاطب. قال تعالى:

- ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ سورة الكهف (١٨: ٥٤) .

استخدم القرآن الكريم أساليب الحجاج الحق والإنسان الصادق، بأوسع قدر مستطاع: استخدم القرآن الكريم الحجج والبرهانية الاستنباطية، والأقيسة البرهانية ذات المقدمات الصادقة اليقينية، وكان القياس البرهاني هو (عمدة) الاستدلال الصحيح كما أسماه إبن سيناء في (الإشارات والتنبيهات) وهو أقوى وأعدل الموازين (موازين إبراهيم الخليل ومحمد صلى الله عليه وسلم) عند الغزالي في القسطاس المستقيم.. لا شك أن الاستدلال الإستنباطي هو سيد الأدلة، وأمير الاستدلال.. أقوى سلاح إقناعي عند الإنسان .

ولكن القرآن الكريم استخدم إستدلالات مختلفة بعضها استنباطي وبعضها استقرائي قائم على مقدمات علمية مأخوذة من الواقع المشاهد ومن الخبرة الإنسانية، فاستخدم مقدمات مأخوذة من مشاهدات حقة ومن تجربات صادقة أو من أخبار منقولة متواترة لا يتسرب إليها الشك أو الكذب .كذلك استخدم القرآن الكريم الأمثال استخداماً واسعاً:

قال تعالى:

- ﴿ ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثل ﴾ سورة الروم (٣٠: ٥٨)، كذلك استخدم القرآن الكريم الحقائق الكونية وسنن الإجتماع الإنساني واستشهد بالتاريخ الإنساني، خاصة التاريخ الروحي، ونعني به تاريخ الأنبياء والرسل، وما وقع لهم من تصديق أو تكذيب من الأمم التي بعثوا إليها، وما كان من أمر تلك الأمم، وما كان من مصائرهم، فمنهم أمة قائمة ومنها حصيد، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم، كم تركوا فيها من جنات وعيون، وبئر معطلة وقصر مشيد، إذن استخدم القرآن الكريم وبصورة مكثفة - الاستدلال التاريخي والدليل الوثائقي .

كذلك استخدم القرآن الكريم أساليب التحليل النفسي، مواجهة الخصوم بمواقفهم النفسية، وذرائعهم الحقيقية، والمصالح والأهواء التي كانت تسيطر عليه وتعشعش في وجدانهم وفي أذهانهم وأنها هي الأسباب الحقيقية في إعراضهم وكفرهم وأن الحجج الباطلة التي يدفعون بها ما هي إلا ذرائع باطلة على اعتبار أنها حجج تستحق التفنيد - في بعض الأحيان - بل لا بد أن تقابل بما تستحق من تقريع وتبكيت وتوبيخ. ولكن القرآن يرد

ى كل حجة لها مظهر الحجة فيدحضها إن كانت كاذبة فتفندها تفنيداً ويقبلها إن كانت تحتوي على شيء من الحق .

١ – ١) الغرض من هذه الدراسة:

هذه الدراسة مخصصة للحجج ذات الطبيعة الاستنباطية وهي تابع استخدام القرآن الكريم لها ومحاولات هذا الاستخدام أغراضه المختلفة، كذلك فهي تسعى لإعطاء أكبر قدر من أنماط هذه الحجج كما استخدمها القرآن الكريم بغرض تسليط مزيد ن الضوء على منطق القرآن الكريم في الحجاج العقلي بمعنى اسع. وننوي إن شاء الله أن نصدر تباعاً دراسات مستقلة أنواع أخرى من الحجاج القرآني خاصة تلكم التي يستخدم فيها لاستقراء والمنهج التاريخي الوثائقي، ومنهج التحليل النفسي وضح النوايا والدوافع للخصوم وكذلك طريقة ضرب الأمثال واستخدام القياسين: المنطقي والأصولي متى كان ذلك ممكناً .

إن من أميز خصائص التعبير القرآني، أخذه بأسلوب الحوار، وبالجدل البناء، الذي يهدف إلى الحصول على الحقيقة، كذلك فهو يتبنى إستراتيجية جدلية في إفساح المجال للرأي الآخر وإعطائه الفرصة الكافية للتعبير الدقيق والأمين عن هذا الرأي الآخر قبل أن

يبدأ في الرد عليه، فإذا كان هذا الرأي الآخر ينطوي على شبهة حقيقة، فإنه يعترف بذلك بوضوح قبل الرد عليه رد موضوعياً رصيناً فيبين وجه الضعف فيه ويقيم البرهان الجاد على بطلانه فلا يستهزي به ولا يتجاهله أو يتهكم عليه .

وصحيح أن القرآن الكريم كثيراً ما يسخر من آراء الخصوم الباطلة، عندما تكون هذه السخرية لها ما يبررها، وذلك كأن يكون رأي الخصوم خالياً تماماً من أي فحوى موضوعي أو حجة لها مظهر الحجة .

إذن لقد أخذ القرآن بمبدأ الحجاج، وذلك ضمنياً بأن اعتمد الحوار والجدال البناء، أسلوباً أصيلاً في توجيه الخطاب إلى العالمين. كما قد دعا إلى الحوار البناء، والجدل بالحسنى تصريحاً: قال تعالى:

- ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [1] .

- ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .. ﴾ [2] .

و لم يكتف القرآن بتبني منهجية جدلية تقوم على الحجاج العقلي بالأدلة والبراهين وضرب الأمثال، وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية، والعقلية والنفسية، ولكنه أيضاً أوجب هذا الحوار، والجدل على من توجه إليهم بالخطاب وطالبهم به، قال تعالى:

-أ/﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ (٣) .

-ب/ ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .. ﴾ (٤) .

-ج/ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً .. ﴾ (٥) .

-د/ ﴿ أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ (٦) .

٢- جدل حسن وجدل سيئ:

إذن ففي القرآن دعوة صريحة إلى الحوار وإلى تأسيس الرأي على قاعدة من العلم والإثبات والأدلة، وهكذا يتضح أنه ليس كل جدل مرفوضاً، وليس كل حوار محظوراً بلا لابد من تصنيف الجدل إلى قسمين:

١) جدل حسن وهو مأمور به كما رأيت .

٢) وجدل سيئ وهو من باب القول الجزاف الذي لا طائل من ورائه فهو إما أن يصدر عن رأي شخصي ذاتي بحت، لا يستند على دليل موضوعي وإنما هو الفرض أو التحكم الفردي والاستبداد بالرأي. وأما هو من باب الجهالة الفاضحة والعمى والضلال المركب الذي لا يدري صاحبه أنه في الواقع يجهل تماماً ما يخوض فيه من جدال .

فهذا الجدل الذي ذمه القرآن وأدانته أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة:

أما القرآن الكريم فقد ذم هذا الصنف من الجدل السيئ في

تعالى:

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .. ﴾ [٧] .

وأما أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة منها:

ضل قوم بعد هدىً إلا أوتوا الجدل ..) [٨] .

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وقف على فة من الصحابة وهم يناقشون مشاكل القرآن الكريم دادلون حوله، فغضب غضباً شديداً حتى عرف ذلك في به الكريم، وقال:

ياقوم، بهذا ضلت الأمم من قبلكم، باختلافهم على هم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض) [٩] .

فإذا كان القرآن من جانب يدعو إلى الجدل، ومن جانب الجدل وينهي عنه فما ذلك إلا لأن هناك نوعين من الجدل ا رأينا:

ل حسن:

وهو ليس فقط حلالاً وجائزاً ولكنه مأمور به وقد يكون القيام به فرضاً أو واجباً في بعض الأحيان .

وجدل سيئ:

وهو من نوع الأغاليط السفسطائية التي طالما حاربها كل من العمالقة اليونانيين الثلاث، سقراط وإفلاطون وأرسطو، وألف الأخير كتاباً في الرد عليها وفي تفنيدها. والجدل السفسطائي يعتمد على الرأي الشخصي فقط من دون إبراز سند له أو أثارة من علم أو برهان. ذلك أن السفسطائيين يؤمنون بداية أن المعرفة المطلقة وهم من الأوهام السخيفة التي تصدر عن رأي ميتافيزيقي باطل هو أن هنالك وجوداً مطلقاً يمكن أن يكون موضوعاً للمعرفة المطلقة .

ومن قبيل هذا النوع الثاني من الجدل السيئ ما يعرفه بالجدل الذي لا طائل من ورائه .

وكذلك كل نوع من الجدل لا يستند على معرفة سابقة أو علم مسلم به وهو ما يسمى (بالأرضية المشتركة) فإنه من دون هذه الأرضية المشتركة من اللامعرفات. ومن التعريفات الأولية. والبديهيات والمسلمات المنطقية وغيرها من القضايا والنظريات

يقبلها طرفا الجدل، فإن هذا الجدل يصبح مراءً لا جدوى من
، ولقد نهى القرآن عن المراء، ونهى عن مثل هذا الجدل
طي الذي لا طائل من ورائه، بل هو إهدار للجهد والوقت
ب من أبواب الشقاق والنفاق والفرقة والشتات:

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [١٠] .

- مدرستان في الإسلام:

نية ظاهرية وعلمية جدلية تأويلية:

ولئن وجدت المدرسة السلفية الظاهرية ممثلين لهامن بين
حابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك كان للمدرسة
اوئة والتي تقبل الجدل العلمي حول القرآن نفسه وكافة مسائل
قيدة والفكر ممثلون لها من بين الصحابة الكرام من جاء بعدهم
ن أشهرهم عبدالله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي
الب ومقاتل بن سليمان والحسن البصري والطبري والإمام
زالي والباقلاني ومتكلمة الإعتزال والإشاعرة وغيرهم كثير .

المدرسة الأولى فربما كان من أوائل مؤسسيها الصحابي
عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي لم يكن على مدرسة
فيه في الأخذ بالاجتهاد والرأي المبتكر السديد حينما لا يوجد
نص صريح في المسألة المطروحة على بساط البحث، فقد عرف
عن المعروف رضي الله عنه، إجتهادات كثيرة أشاد بها النبي صلى
الله عليه وسلم بل ونزل الوحي نفسه مؤيداً لها في القرآن
الكريم.

أما عبد الله بن عمر فلقد كان يرى وجوب اتباع النبي صلى
الله عليه وسلم حرفياً وقبول النص على ظاهره وعدم تجاوز ذلك
أبداً. حتى لقد روي عنه أنه سار قاصداً الحج من المدينة المنورة
إلى مكة المكرمة فأصر على اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه
وسلم في حجه سابقة من نفس الطريق بخشماً نفسه ورفقاءه
مشقة لا تخفى، ولكنه مع ذلك عجز تماماً عن أن يقص أثر
الرسول فمسك نفس الطرق وبقيل حيث قيّل الرسول صلى الله
عليه وسلم وبيت حيث بات، وهكذا ظهرت محدودية المدرسة
الضيقة وقصورها منذ أول وهلة، فلو كان الاقتداء حرفياً
كما حدث أن يقيم كل مسلم في المدينة المنورة، ولكن مع

قد استمر نفر من أتقياء الصحابة وصالحي الأمة يصرون لاقتداء الحرفي بالرسول صلى الله عليه وسلم خوفاً من أن ن الدين الجديد للتحريف والتزييف والتصحيف، كما ذلك للأديان السماوية السابقة كلها بلا استثناء، فكان من السلفيين الأوائل القاسم محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم عمر بن الخطاب (متأثراً بلا شك بعبدالله بن عمر) وسعيد سيب وأحمد بن حنبل وابن حزم الظاهري، وتقوم فلسفة زم على رفض التأويل والتعليل في استنباط الأحكام الشرعية أضيق الحدود. وذلك لأنه يرى أن القرآن كله، المحكم منه بابه، بيّن بنفسه أو يمكن بيانه بالرجوع إلى نصوص أخرى قرآن نفسه أو من السنة النبوية، اللهم إلا تلك الحروف التي بها المزمل عزوجل بعض سور الكتاب، وأيضاً صيغ القسم رآن الكريم .

ما عدا ذلك فينبغي أن يفهم القرآن على ظاهره وأن يفسر ، ببعض أو بالسنة، وهذا لا يمكن أن يضيف شيئاً ذا قيمة فلا أن يحلل حراماً ولا يمكن أن يحرم حلالاً) .

وكذلك رفض إبن حزم تقليد الصحابة، لأن فهمهم للدين ليس ملزماً إذا لم يكن يستند على نص من كتاب أو سنة في رأي إبن حزم . وبالمثل كان رفضه للقياس القائم على التعليل والذي قال به الشافعي وأصحابه وبعض الأحناف والمالكية أشد من أي شيء لأنه يناقض نظريته في اكتمال الدين ولأنه يعتمد على التعليل (أي التأويل) . كما رفض الاجتهاد بالرأي فيما ليس فيه نص. ورفض كذلك الاستحسان . وآراء إبن حزم في ذلك مبثوثة في مؤلفاته ولكنها منصوص عليها بدقة في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) .

أما القياس المنطقي فهو معقول عنده لأنه برهاني قائم على اللزوم المنطقي. حتى جاء إبن تيمية وتلميذه إبن قيم الجوزيه فأصبحت السلفية مذهباً مؤسساً على أيديهم تأسيساً متيناً. وهكذا يتضح أن المدرسة السلفية مدرسة عميقة الجذور لها ممثلون أقوياء لا يشق لهم غبار .

ولا شك أن المدرسة السلفية أسدت خدمة بلا حدود في دفع عوامل التحريف والتزييف والتصحيف التي كانت آفة الآفات التي عانت منها الأديان السماوية السابقة وكانت المدرسة السلفية

لك قدراً من أقدار الله التي حقق بها وعده في حفظ هذا الدين
ل أن يرث الله الأرض ومن عليها:
- ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

والمدرسة السلفية شأنها في ذلك شأن كل مدرسة فكرية كبيرة ورئيسية، ليست كلها على رأي واحد في جميع المسائل التي دعو إلى الاجتهاد. مما لا شك فيه أن إبن تيمية وإبن قيم الجوزيه من أعظم أئمة الدين وأعظم المجتهدين، خاصة في مسائل الفقه والسياسة الشرعية وكذلك كان الإمام محمد بن عبدالوهاب مصلحاً وثائراً ومجدداً للدين والحياة ومن مؤسسي الدولة السعودية. ولكن بالرغم من ذلك فإن إبن تيمية وإبن قيم الجوزية يعتبران من السلفيين لموقفهم من قضية التأويل ولرفضهم المطلق للفلسفة واعتبارهم إياها من الجدل السيئ الذي لا طائل من ورائه، ولنفس السبب لا يمكن اعتبار المفكرين العظيمين سيد قطب ومحمد قطب من السلفيين، إلا بحسبان موقفهما من الفلسفةعموماً وخاصة الفلسفة الإسلامية، إذ أنهما من الذين يعتبرون الفلسفه الاسلاميه نتاجا يونانيا خاليا كتب باللغه العربيه وهذا رأى تجاوزته الدراسات المكثفة الحديثة في العقدين الأخيرين

من هذا القرن)، فإن تفكير كل من سيد قطب ومحمد قطب في المجالين الاجتماعي والسياسي يعتبر أصلاً مبتكراً بل وثورياً في كثير من تفاصيله [١١] .

فإذا نحن أضفنا سيد قطب ومحمد قطب إلى السلفيين فذلك لأنهما:

١) رفضا الخوض في الآيات التي تتحدث عن الغيبيات والميتافيزيقيا .

٢) لأنهما رفضا الفكر الفلسفي الإسلامي في مجمله على اعتبار أنه نتاج يوناني خالص وهذه نظرية فيها قدر كبير من التعميم ولا يراها المتخصصون في الدراسات الفلسفية

٣) لأنهما رفضا المنطق الصوري واعتبراه سبب الكارثة الفكرية التي حلت بالمجتمع وصرفته عن الفكر الإسلامي الصريح وساعدت بذلك في تكريس الجمود الذي أصاب هذا الفكر في العصور السالفة منذ القرن العاشر الميلادي وحتى اليوم. وفي رأيي أن الإمام الغزالي قد حسم الأمر لصالح المنطق عندما برهن أن مبادئ المنطق الأساسية يمكن استنباطها من القرآن الكريم، على ما سوف نفصله فيما

يأتي من هذه الدراسة. وكذلك فعل أصحاب مدرسة أصول الفقه، إذ أنهم أدخلوا المنطق من حيث هو حجاج عقلي - وليس فقط تراثاً يونانياً - في منهجية الخارطة العلمية للفكر الإسلامي إلى الأبد، بالرغم من الرأي الشائع أن الغزالي هو عدو الفلسفة الأول، فإن الدراسات المحققة الأخيرة تكشف أن الغزالي من أعظم فلاسفة الإسلام [١٢] وأنه هو الذي وضع المنهجية العلمية الإسلامية في إطار نظري متكامل بغض النظر عن أوجه النقد التي يمكن أن نوجهها للغزالي في بعض الجوانب والتفاصيل.

- **القرآن لا يسمح إلا بالنظرة العلمية المدعمة بالبرهان:**

إذا كان قد ذهبنا إلى أن القرآن يدعو للحجاج العقلي، فإن ا أمر جلي كالشمس في أسلوب القرآن وفي سياقه، والنداء رآني يتجنب إلقاء القول على عواهنه، وإطلاق القول جزافاً. كرر ذلك في القرآن كثيراً، حتى أنه يمكن القول أن القرآن لا ل إلا النظرة العلمية للأمور، فمطالبة القرآن المتكررة بإعطاء ليل والبرهان تقوم كأعظم شاهد على النزعة العلمية الصارمة

فيه، ولقد استعرضنا بعض الآيات التي تطالب بإعطاء البرهان في أول هذا الباب، كما أعطينا النظرية القرآنية للعمل في ملامحها العامة في الإصدار الأول من سلسلة المنطق والقرآن الكريم والفلسفة ، أي أن العلم هو من أعظم وسائل تحصيل القوة وتحقيق السيطرة على الطبيعة والكون - فمن أهداف العلم الحديثة إستخدام العلم من أجل إعمار وإحراز القوة لتحقيق ذلك.

قال تعالى:

- ﴿ **إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ (١٣) ﴿ **أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين** ﴾ (١٤).

وقال تعالى:

- ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين** ﴾ (١٥).

ونختتم هذا الجزء من هذا الباب بإعطاء نماذج متعددة لأساليب الحجاج في القرآن الكريم، نقصد من وراء ذلك أن نبين أن القرآن لم يكتف بدعوة صريحة إلى التفكر والتأمل في أقطار

رض وآفاق السماء، بل ذهب إلى أبعد من ذلك بأن تبني سلوب العلمي واستخدام الحجاج العقلي كمنهج أصيل من اهجه والغرض الرئيسي من هذه الدراسة هو أن نتبع استخدام رآن لأساليب الحجاج العقلي خاصة الإستنباط بأوسع قدر كن وحسبما يفتح الله لنا من فتوحات في هذا الصدد راجين

وراء ذلك أن نوضح:

١) أن القرآن قد استخدم بالفعل أساليب البحث العلمي المتعددة إستخداماً مكثفاً .

٢) أن نبين أن هذه الأساليب العلمية في الحجاج هي جزء أصيل من أساليب القرآن الواسعة و اللامحدودة، فنحن لا نريد أن ندعي أن الأساليب العلمية المعروفة والمعاصرة في علم المناهج المعاصر يمكن لها أن تستوعب أو تستنفد كل أساليب الحجاج والجدل في القرآن. فالقرآن كتاب من بعد ذلك أساليب يتميز بها دون غيره من الكتب

٣) لذلك سوف نحاول أيضاً أن نشير إشارات موجزة إلى بعض هذه الأساليب المميزة للنسق القرآني في نهاية هذا الباب إن شاء الله .

٥- أنماط الحجج الاستنباطية في القرآن الكريم:

لقد استخدم القرآن الكريم فكرة الاستدلال الاستنباطي بصورة مكثفة كما أشرنا من قبل واستخدم أقسامه المختلفة ونستطيع هنا أن نشير إلى أمثلة منها:

(٥-١) إستدلالات إستنباطية بسيطة:

استخدم القرآن الكريم الاستدلال الاستنباطي في كثير من آياته الكريمة، وهذا الاستنباط وإن كان غير مباشر إلا أنه من النوع البسيط.

قال تعالى:

- ﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾

وقال تعالى:

- ﴿ أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾

وقال تعالى:

- ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾

مثال:

﴿ أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشون ﴾ (١٦) .

فهذه الآيات كلها أمثلة لاستدلالات إستنباطية بسيطة وهو معروف في المنطق بالاستدلالات الشرطية المنفصلة وشكلها العقلي كالآتي:

(١) إما أن تكون ق وإما ك .

(٢) لكن لا ق .

(٣) إذن ك .

فالآية الأخيرة تنطوي على الحجة التالية:

١) الشجرة إما أن تكون قد أنشأتموها أو أن يكون الله هو الذي أنشأها .

٢) ولكنكم لم تنشئوها .

٣) إذن فالله هو الذي أنشأها .

ولكن هذه المنفصلة أعلاه لا تستوفي كل أقسام الانفصال ، بعض أقسام التعاند مضمرة لكونها ليست أسباباً قوية ، ولو أردنا أن نظهر كل أقسام التعاند لاتخذت الحجة الشكل التالي :

١) إما أنكم أنشأتم الشجرة، أم أنها أنشـأت نفسـها بنفسها تلقائياً، أم أنها وجدت صدفة بلا سبب ولا خالق، أم أن الله هو الذي أنشأها .

٢) ولكنكم، أيها الناس، لم تنشئوا الشجرة .

٣) ولا هي أنشأت نفسها تلقائياً .

٤) ولا أنها خلقت صدفة بلا سبب أو تدبير .

٥) إذن ليس هنالك إحتمـال غير أن الله هـو الـذي خلقها .

(مستخدمين بذلك طريقة السبر والتقسيم عند الأصوليين، أو طريقة البواقي عند جون إستيوارت مل، أو نموذج الحجة المنفصلة (على شرط أن المقدمـات تحصر أقسـام العلـة كلهـا فيمـا يتعلق بإنشاء الشجرة) .

وهذا النموذج من المنفصلة، كثير الـورود في القـرآن الكريـم ومن أمثلته الآية التالية – قال تعالى:

– ﴿ **أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها** ﴾ فهذه الآية تنطوي علـى حجة كبيرة، يمكن التعبير عنها كمنفصلة على النحو التالي:

١) إما أن تكونوا أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً .

٢) ولكنكم لستم أشد خلقاً .

٣) إذن فالسماء أشد خلقاً .

لكن ليس هذا هو الغرض النهائي من هذه الحجة، فالحجة : تريد أن تثبت أن الله هو الذي خلق الناس، لأنه هو الذي سماء، وعليه يمكن التعبير عن هذه الحجة بصورة أكثر أ - وذلك بإعطاء المقدمات الأخرى المضمرة على النحو

١) إن الله هو الذي خلق السماء. (هذه حجة سبق برهانها في القرآن كثيراً) [١٧] .

٢) والسماء أشد خلقاً وأعظم تعقيداً من الإنسان (وهذه نتيجة الاستدلال الشرطي المنفصل أعلاه)

٣) والذي يخلق الشيء المعقد يستطيع أن يخلق ما هو دونه من التعقيد (بديهية أم مسلمة منطقية) .

٤) إذن فالله هو الذي خلق الإنسان .

يمكن صياغتها على النحو التالي:

١) من يخلق الأشد يخلق الأضعف (مسلمة) .

٢) السماء أشد خلقاً من الإنسان (وهذه نتيجة المنفصلة أعلاه).

٣) إذن من يخلق السماء، يخلق الإنسان (١)، (٢) بالاستدلال.

٤) ولكن الله خلق السماء (هذه نظرية أثبتها القرآن كثيراً).

٥) إذن فالله هو الذي خلق الإنسان.

وهذه الحجة كلها مضمرة في الآية أعلاه وهي حجة مركبة وإن كانت الآية تبدو وكأنها منفصلة بسيطة وهي - كما رأينا - تشتمل على نظرية واحدة على الأقل وعلى استنباطات مباشرة وعلى بديهية أو مسلمات منطقية، وهكذا وهلم جرا. ونلاحظ أن الاستنباطات المباشرة المضمرة في الآية مسلّم بها بالعقل والواقع وكذلك فإن نظرية (أن الله هو الذي خلق السماء لها برهين في القرآن ذات طبيعة استقرائية واستنباطية مركبة - ومن أمثلة الاستدلال الاستنباطي في القرآن الكريم ما يلي:

٢) رهان باسكال:

ل تعالى: ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
باه كتاب موسى إماماً ورحمة، أولئك يؤمنون به ومن
به من الأحزاب فالنار موعده. فلا تك في مرية منه إنه
من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (١٨) .

قال تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم
ن أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ (١٩) .

قال تعالى: ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه
ن رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
كن كاذباً فعليه كذبه وإن يكن صادقاً يصبكم بعض
يعدكم، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ (٢٠) .

هذه الآيات خصوصاً الأخيرة منها تتضمن أمثلة لما يعرف
باسكال "Pascal's Wager" (أي رهان باسكال). ورهان
ال يتلخص في الآتي: إن من يريد رهاناً لا يخسر أبداً، فعليه
من أو يضمن نتيجة كل الإحتمالات فيها فلا يخسر في أ
والذي يفعل ذلك يتصرف تصرفاً عقلياً سليماً. ولذلك فإن

الرجل المؤمن الذي أشارت إليه الآية الأخيرة ﴿ رجل من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ قد استخدم رهان باسكال، فقد قال لقومه:

١) إذا صدق موسى فقد ربحتم، وإذا كذب موسى فلن تخسروا شيئاً .

٢) ولكن إما أن يكون موسى صادقاً أو كاذباً .

٣) إذن إما أن تربحوا أو لا تخسروا شيئاً .

ويمكن أن نعبر عن هذا المقياس، ذا طبيعة الإحراجية، رمزياً على النحو التالي:

[(ق← ك) ٨(م← ل) ٨(ق٧م)] ← (ك٧ل)

قاموس:

ق = موسى صادق .

ك = فقد ربحتم .

م = موسى كاذب .

ل = فقد خسرتم .

٣) دليل الخلف:

لذلك استخدم القرآن، بصورة مكثفة، الدليل المنطقي
باطي المعروف بدليل الخلف والمسمى أحياناً دليل الخلف
، أشار إليه المناطقة المدرسين بـ Reductio ad Absurduim
اً باسم Reductio ad Impossible والذي أخذ من منطق
ر. ولكن استخدام القرآن الكريم لدليل الخلف يختلف قليلاً
ستخدام أرسطو كما سنرى .

دليل الخلف في القرآن الكريم يأخذ أطروحة أو زعم الخصم
ما صحيحة جدلاً ثم يستخرج ويستنبط منها حججاً متتالية
نصل إلى باطل بيّن الكذب والبطلان، فإذا كان هذا الرأي
استنتج من أطروحة الخصم، وقد فرضت صحيحة جدلاً
، الواقع، فقد برهن أن أطروحة الخصم هي في الواقع كاذبة
أدت إلى نتيجة عبثية "Absurd" لأنها تتناقض مع الواقع
د. فهذا هو القسم الأول من الـ Reductio وهي ما يعرف
. Reductio ad Absurdi

أما القسم الثاني من الـ Reductio فهو يؤدي بافتراضه
حجم الخصم، يؤدي إلى نتيجة مستحيلة لأنها تتناقض مع

نعقل وتكون بذلك – Impossible وهو ما يعرف بـ Reductio and Impossible .

ومن أمثلة استخدام القرآن لهذه الحجة – قوله تعالى:

١) ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلـه، إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعـض سبحان الله عما يصفون، عالم الغيـب والشـهادة فتعالى عما يشركون ﴾ (٢١) .

٢) ومثال آخر – قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهمـا آلهة إلا الله لفسـدتا فسبحان الله رب العرش عمـا يصفون ﴾ (٢٢) .

٣) ومثال ثالث – قوله تعالى:﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العـرش سبيلاً ﴾ (٢٣) .

ونأخذ الآية الأولى، ودعنا نعبر عنها على النحو التالي:

١) لنفرض جدلاً أن هنالك إله مع الله.

٢) إذن فهنالك إلاهان في الوجود .

٣) وطالما كان إلهين، فلا بد أن لكل واحد منهما مجالاً قام بخلقه .

٤) وإذن فكل إله حر أن يفعل ما يشاء في حدود المجال الذي قام بخلقه ولا فكاك من أن يستخدم كل واحد منهما سلطته في مجاله .

٥) إذن فهناك احتمال كبير وشبه مؤكد أن ينشأ بينهما نزاع !.

٦) كذلك فلا بد أن يتنافسا في أيهما أكبر رتبة من الآخر ! .

٧) إذن لكان نتيجة ذلك أن يستقل كل إله بما خلق فيكون هنالك كونان على الأقل ! .

٨) ولكن النتيجتين (٦)، (٧) شنيعتان ومتناقضتان مع الواقع إذ الكون واحد ومنسق ونظامه مستقر وعلى وتيرة واحدة مطردة .

٩) إذن فلا مناص من الرجوع إلى الخلف ونقد المقدمة (١). إذن فالآية الأولى مثال واضح بـ Reductio ad Absurduim .

ويمكن صياغة هذا البرهان بإيجاز على صورة قياس إستثنائي على النحو التالي:

١) إذا كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (كما تدلنا على ذلك التجربة والخبرة) .

٢) ولكنهما لم تفسدا (واقعاً) .

٣) إذن ليس فيهما آلهة إلا الله .

ويمكن التعبير عن هذا القياس الإستثنائي بصورة رمزية على النحو التالي:

١) (ق -> ك)

٢) (لا ك) .

٣) إذن لا ق .

وكذلك فالآيات الثانية والثالثة أمثلة أخرى لدليل الخلف (أو الخلف) من القسم الأول منه وهو الرد إلى السخيف أو العبثي "The Absurd" .

ومن أمثلة استخدام القرآن لدليل الخلف (أو الخلف) الآية الكريمة الثالثة:

) ﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا اختلافاً كثيراً﴾ (٢٤) .

ويمكن أن نعبر عن الشكل المنطقي لهذا الاستدلال القرآني في ، الآية على النحو التالي:

١) إفترض أن القرآن من وضع إنسان .

٢) ولكن كل إنسان عرضة للخطأ والنسيان والتناقض .

٣) إذن لكان هذا القرآن مليء بالأخطاء والخلف (أي التناقض)

٤) ولكن - في الواقع - فالقرآن بريء من الخلف، إذ أنه متناسق منطقياً في تكوينه الداخلي "i-e The Quran is internally a consistant Systim" .

٥) إذن المقدمة الأولى لا يمكن أن تكون صحيحة لأنها تقودنا منطقياً إلى النتيجة (٣) وهي عبثية أو سخيفة في حق القرآن .

يمكن أن نعبر عن المضمون المنطقي للآية أعلاه في شكل قياس استثنائي .

١) إذا كان القرآن من عند غير الله لوجدنا فيه اختلافاً كثيراً .

٢) ولكننا لا نجد فيه هذا الاختلاف .

٣) إذن من الخطأ أن يقال أنه من عند غير الله .

وبالرموز نعبر عنه على النحو التالي:

١) ق -> ك .

٢) لا ك .

٣) إذن لا ق "M. T." .

ومن يناقض هذه الحجة فعليه إبراز الدليل والبرهان على تناقض القرآن، ولقد عجز عن ذلك - وحتى اليوم - أهل الكتاب ضيلة الأربعة عشر قرن التي مضت على تنزيل القرآن الكريم ! .

وفي الواقع فالقرآن ليس فقط متناسقاً في بنائه الداخلي فهو كذلك متناسق في بنائه الخارجي. فلا يتناقض القرآن الكريم مع أي حقيقة علمية ثابتة ومبرهن عليها ويكفي في ذلك شهادة

الطبيب الجراح الفرنسي موريس بوكاي، وذلك قبل إعلان إسلامه أخيراً [٢٥] إذن القرآن ليس فقط:

Internally Consistant, it is also externally Cosistant

ومن أمثلة استخدام القرآن لدليل الخلف، الآية الكريمة التالية: قال تعالى:

٥- ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ .

٦- ﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ كنتم تدرسون ﴾ .

ويمكن لنا أن نرد الحجة رقم (٥) إلى نوع من أنواع الخلف من القسم الثاني أي من نوع Reductio ad Impossible على النحو التالي:

١) لنفترض - حسب زعمكم - أن عيسى إدعى الألوهية لنفسه .

٢) إدعاء النبوة من قبل عيسى كذب على الله .

٣) ولكن عيسى نبي قد آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة .

٤) ومن يؤتي الكتاب والحكم والنبوة يعرف الله حق المعرفة

٥) ومن يعرف الله حق المعرفة يخشاه .

٦) ومن يخشى الله لا يكذب عليه .

٧) فإذن لا يمكن أن يدعي عيسى الألوهية لنفسه .

٨) وهكذا وصلنا إلى (٧)، (٨) أي أن عيسى إدعى الألوهية لنفسه (بحسب زعمكم) و لم يدعها - وهو محال "impossible"

٩) إذن فالمقدمة (١) كاذبة لأنها قادت إلى محال "impossible" وكذلك يمكن رد الآية رقم (٦) إلى نوع من الـ Reductio an impossible على النحو التالي:

- لنفرض أن عيسى أمر أتباعه أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله (بحسب زعمكم) .
- ومثل هذه الدعوة كذب على الله .
- ولكن عيسى نبي كريم أتاه الله الكتاب والحكم والنبوة .
- ومن هو كذلك لا يكذب على الله .

- ومن لا يكذب على الله لا يمكن أن يأمر الناس باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله .
- إذن عيسى لم يأمر أتباعه باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله .
- إذن فالمقدمة (١) أوصلتنا إلى تناقض وهو (١) مع (٦) وهذا محال .
- إذن المقدمة (١) لا يمكن إلا أن تكون كاذبة لأنها أوصلتنا إلى محال "impossible" .

ويمكن لنا بكل تأكيد أن نعبر عن استدلال الخلف بنوعية عبثي والمستحيل باعتباره استدلالاً شرطياً متصلاً على النحو التالي:

الخلف من القسم الأول (العبثي):

(١) إذا كانت ق إذن ك .

(٢) لكن لا ك .

(٣) إذن لا ق .

وهذا ما يعرف بـ "Modus Tollens" عند المدرسيين اللاتينيين .

دليل الخلف من القسم الثاني (المستحيل) واستخدامه كثير ولكن يمكن رده إلى قياس استثنائي على النحو التالي:

(١) إذا كانت ق إذن (ك و لا ك) .

(٢) لكن لا (ك ولا ك) .

(٣) إذن لا ق .

وهذا أيضاً من نوع "Modus Tollen "M. T عند المدرسين اللاتينيين .

(٥-٤) أمثلة أخرى للاستدلال الشرطي المتصل:

قال تعالى:

٧- ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٢٧] .

٨- ﴿ **أم يقولون تقوله، بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ..** ﴾ [٢٨] .

ويمكننا أن نعبر عن الشكل المنطقي للآية (٧) على النحو التالي:

١) إذا كان هذا القرآن من وضع محمد، إذن فأنتم تستطيعون أن تأتوا بسورة من مثله .

٢) ولكنكم لم تستطيعوا أن تأتوا بسورة من مثله .

٣) إذن لا يمكن أن يكون هذا القرآن من وضع محمد

وشكلها الصوري أو الرمزي كالتالي:

٤. إذا كانت ق إذن ك .

٥. لكن لا ك .

٦. إذن لا ق .

وكذلك فإن الآية (٨) هي مثال لهذا النوع من الشرطي المتصل من النوع السالب "M. T." .

قال تعالى:

٩- ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**﴾ [٢٩].. وهذه الآيات نزلت في وفد البدو (من بني تميم) قدموا إلى المدينة، وصاروا إلى سكن الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذوا ينادونه من خارج الحجرات (يا محمد أخرج إلينا) ويمكن لنا أن نعبر عن الشكل المنطقي لهذه الآية رقم (٩) على النحو التالي:

١) إذا ناداك أناس من وراء الحجرات إذن فهم لا يعقلون .

٢) وهؤلاء البدو (من بين تميم) قد نادوك من وراء الحجرات .

٣) إذن فهم لا يعقلون ..

وعلى طريقة السياق القرآني في التعبير، فإن المقدمة الثانية مضمرة ولكن إذا وضعناها وأظهرنا النتيجة فإن الشكل الصوري (أو الرمزي) لهذا الاستدلال الشرطي المتصل يكون كالآتي:

(١) إذا كانت ق إذن ك .

(٢) ولكن ق .

(٣) إذن ك .

وهذا نوع ثان من الشرطي المتصل، ذو طبيعة إيجابية، وهو ما أسماه المدرسيون اللاتينيون Modus Ponens "M. P" وهو كثير الاستعمال في الاستدلال الشرطي المتصل، ويمكن أن نجد له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم ولكننا نكتفي بهذا المثل .

(٥-٥) أمثلة أخرى للاستدلال الشرطي المنفصل:

قال تعالى:

١٠- ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ (٣٠)

والنتيجة هنا مضمرة وكذلك المقطع الثالث من المنفصلة أيضاً. ولكن إذا أظهرنا ما هو مضمر في هذه الحجة، فإن الشكل المنطقي الكامل لها يكون كالآتي:

١) الناس إما أن يكونوا قد خلقوا من لا شيء أو أنهم قد خلقوا أنفسهم أو يكون الله هو الخالق .

٢) ولكنهم لم يخلقوا من لا شيء .

٣) ولم يخلقوا أنفسهم .

٤) إذن الله هو خالقهم .

والصورة الرمزية لهذا الاستدلال الشرطي المنفصل هي كالآتي:

(١) إما ق وإما ك وإما م .

(٢) لكن لا ق .

(٣) ولا ك .

(٤) إذن م .

(٥-٦) القياس:

هل استخدم القرآن الكريم القياس؟ هذا القياس الذي ينسب عادة إلى أرسطو وان كان القياس استدلالاً قديماً قدم التلال والجبال، ولا بد أنه كان معروفاً قبل أرسطو. غير أن أرسطو بالطبع صاغه في نظرية شاملة وهي نظرية القياس الأرسطية الشهيرة التي أخذها المناطقة المسلمون من الكندي والفارابي ومروراً بإبن سيناء، حتى إذا جاء الغزالي أدخلها ضمن المقررات الدراسية في المدرسة النظامية لأول مرة بالرغم من معارضة بعض الفقهاء المتشددين [٣١] ، و لم تفلح المدرسة السلفية في اقتلاع المنطق بعد ذلك وإن أضعفت نفوذه كثيراً. [٣٢] أنظر إلى الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى:

١١- ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، افإن مت فهم الخالدون** [٣٣] ﴾ ويمكن لنا أن نضع الشكل القياسي للاستدلال المتضمن في الآية أعلاه على النحو التالي:

١) كل البشر مائتون .

٢) ومحمد بشر .

٣) إذن محمد مائت .

وهذا قياس من الشكل (وإن كان أرسطو يستخدم هذا المثال فهو من وضع تلاميذه) (وهو لذلك من المنطق التقليدي) .

(٦) الغزالي والموازين القرآنية:

رحم الله الغزالي وأحسن إليه وجزاه عنا أحسن الجزاء، لقد كفانا معرفة مؤنة استخراج الحجاج الاستنباطي البرهاني بوزنه من القرآن الكريم [٣٤] وذلك حينما أراد أن يدافع عن المنطق أمام محاوريه من الشيعية الامامية (التعليمية) وغيرهم من الفرق، فاستخرج المنطق البرهاني كله من القرآن الكريم وأسماه موازين الخليل ومحمد عليهما السلام. وقال صراحة إن مصادر المنطق وأصله نابع من علوم المولى عزوجل وهو المعلم لأول حكيم له وليس أرسطو وذلك بقوله تعالى مؤكداً حجاج إبراهيم مع قومه: نال تعالى: ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** ﴾ [٣٥] .

لقد استطاع الغزالي أن يستخدم الأشكال الثلاثة: الأول والثاني والثالث للقياس الأرسطي (الإبراهيمي والمحمدي) وكذلك الاستدلال الاستنباطي المعروف بالافتراضي الشرطي المتصل والاستدلال الاستنباطي المعروف الشرطي المنفصل في القرآن الكريم - وكانت موازين المنطق عنده خمسة موازين:

موازين التعادل:

(١) القياس الحملي - الشكل الأول .

(٢) القياس الحملي - الشكل الثاني .

(٣) القياس الحملي - الشكل الثالث *.

ميزان التلازم:(٤) الاستدلال الشرطي المتصل.

ميزان التعاند:(٥) الاستدلال الشرطي المنفصل .

أنظر في ذلك مثلاً حجج زينون الأيلي في استحالة الكثرة، واستحالة الحركة في:

١ - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم - بيروت، لبنان، (بدون تاريخ) ص ٣٠ وما بعدها. حيث يستخدم زينون الأيلي أدلة الخلف لأول مرة .

٢ - د. محمد مهران: علم المنطق، دار المعارف - مصر (بدون تاريخ) ص ٤٣. حيث يشير مهران إلى منطق السفسطائيين ومحاولات سقراط الأولى في الوصول إلى القياس، وكذلك أشار إلى إسهم إفلاطون .

نزالي هنا إبن سيناء في استخدام كلمة التلازم ويقصد بها لنطقي .

ج الموازين الخمسة من القرآن الكريم:

د أعطى الغزالي الأمثلة القرآنية التالية:

) الميزان الأكبر (الشكل الأول من القياس):

، تعالى على لسان الخليل: ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من ، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر.. ﴾ (٣٦) .

ذا قياس مقتضب "Enthymeme" وذلك أن النتيجة على طريقة التعبير القرآني المعجز الذي لا يلجأ إلى ، إلا إذا كانت هنالك ضرورة .

كي نبرز الصورة التامة لهذا الميزان الخليلي، فيمكن أن نعبر النحو التالي:

١) كل إله يقدر على إطلاع الشمس من المشرق فهو إله حق .

٢) وإله الخليل قادر على إطلاع الشمس من المشرق

٣) إذن فإله الخليل هو الإله الحق .

ولكن من المناسب أن أذكر هنا أن الغزالي أدرك أن القياس الخليلي هو نوع الاستدلال الإلزامي، فإن النتيجة تلزم إذا كانت المقدمتان صادقتين معاً. فإن الحد الأكبر معادل للحد الأصغر ومساوٍ له لأن كليهما مساوٍ لشيء واحد وهو الحد الأول ومعادل له .

فإذا كان الحد الأوسط هو (و) .

وكان الحد الأكبر هو (ك) .

وكان الحد الأصغر هو (ص) فإننا يمكن أن نعبر عن القياس الأكبر (الميزان الخليلي الأول) على النحو التالي كإستدلال لزومي ضروري:

(١) (إذا كان ص -> و) .

(٢) (وإذا كانت و -> ك) .

(٣) (إذن ص -> ك) .

أو [(ص -> و) (و -> ك)] -> (ص -> ك) .

ولقد برهن (يان لوكاشيفين) على أن القراءة الصحيحة للقياس الأرسطي هو أن ينظر إليه كإستدلال لزومي ضروري،

يتكون من اقتران مقدمتين شرطيتين متصلتين تقودان باللزوم الضروري إلى نتيجة هي أيضاً شرطية متصلة [٣٧] .

غير أن الغزالي مع ذلك يسمي القياس (ميزان التعادل) وكأنه يرى أن الحد الأوسط في القياس يعادل أو (يساوي) كلاً من الحد الأكبر والحد الأصغر، وهكذا فإنه وحسب قانون (أن الشيئين المساويين لشيء واحد متساويان لبعضهما البعض) يكون الحد الأصغر مساوٍ للحد الأكبر وهذا ما نقوله ونضعه في نتيجة القياس، فمهما يكن من شيء، فإن الغزالي يفرد ميزاناً خاصاً للتلازم وهو (ميزان التلازم) الذي هو الميزان الرابع من موازينه الخمسة .

(٦-٣) الميزان الأوسط (الشكل الثاني من المقياس):

وهذا أيضاً للخليل (عند الغزالي) وهو مستخرج من الآية الكريمة: قال تعالى على لسان إبراهيم ﴿**لا أحب الآفلين..**﴾ [٣٨]

وهذا قياس مضمر أو مقتضب "Enthymeme" على طريقة القرآن الكريم في التعبير الذي مبناه قائم على الإيجاز والإضمار

والحذف. أما الصورة الكاملة لهذا القياس الذي هو من الشكل الثاني فهي كالآتي:

١) الإله الحق ليس بآفل - (معرفة عقلية أولية تصورية) .

٢) ولكن القمر آفل - (معرفة حسية معلومة بالحس والمشاهدة)

٣) إذن القمر ليس بإله. تلزم من (١) و (٢) ضرورة والمصغر في هذا القياس هو المقدمة الكبرى (الإله الحق ليس بآفل) تعرف بداهة من تصور الإله الحق

(٦-٤) الميزان الأصغر (الشكل الثالث من القياس):

وهو ميزان محمدي. وهكذا فالميزان الأكبر للخليل (إبراهيم عليه السلام) كذلك فإن الميزان الأوسط للخليل أما الميزان الأصغر لمحمد صلى الله عليه وسلم (في رأي الغزالي) والموازين الثلاثة مأخوذة من القرآن الكريم .

﴿ وما قدروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى س ﴾ (٣٩) .

ولقد أظهر الغزالي القياس المتضمن في هذه الآية على النحو لي:

١) موسى عليه السلام بشير .

٢) وموسى قد أنزل عليه الكتاب .

٣) إذن بعض البشر أنزل عليه الكتاب .

والنتيجة هنا تبطل بها الدعوى العامة التي قال بها بنو ائيل وهي ﴿وما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ . أي أن لم ينزل كتاباً على أحد من البشر. ومن الواضح أن هذا س مضمر فيه المقدمة الكبرى لوضوحها وعدم الحاجة إلى مها وكذلك النتيجة المباشرة للقياس هي أيضاً مضمرة وهي ية موجبة "L" وهي التي تقابل دعوى بني إسرائيل وهي سالبة "E" .

٥-) ميزان التلازم:

الميزان الرابع عند الغزالي هو ميزان التلازم. وهذا هو الاستدلال الشرطي الرئيسي عند الغزالي. وهو اقتراني وشرطي متصل - ولقد استخرجه الغزالي - حسب اعترافاته في (القسطاس المستقيم) من القرآن الكريم، خاصة الآيات الكريمة الآتية:

- قال تعالى: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ (٤٠)
- وقال تعالى: ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا** ﴾ (٤١)
- وقال تعالى: ﴿ **لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ..** ﴾ (٤٢)

والاستدلال الكامن في الآية الأولى هو من النوع الشرطي المتصل المعروف بالقياس الاستثنائي "M. T" وتقديره الرمزي كما يلي:

١) لو كان في العالم أكثر من إله لفسد .

٢) ومعلوم أن العالم لم يفسد .

٣) إذن لا يمكن أن يكون في العالم إلا إله واحد .

وشكله الرمزي كالآتي:

(١) إذا كانت ق إذن ك

(٢) لكن لا ك .

(٣) إذن لا ق

واسم هذا النوع من التلازم هو "Modus Tollens" عند المناطقة المدرسين "Scholastic" ومعناه ضرب السلب بالسلب فإن سلبنا تالي الشرطية أدى إلى سلب مقدم السلبية في نتيجة التلازمي .

ولقد عبرنا عن هذا النوع من الاستدلال باستخدام دليل الخلف فيما سبق. ولا بأس من استخدام دليل الخلف لأنه يأخذ حجة الخصم فيقبلها على أنها صحيحة ومن ثم يتقدم ليستنبط منها نتيجة أخرى:

(أ) إما مصادمة للواقع، هي لذلك سخيفة أو عبثية لأنها بينة الكذب لمفارقة الواقع القائم والمشاهد وهو ما أسميناه الشنيع أو العبثي Reductio ad Absurdim .

(ب) وإما أنها مناقضة للعقل ولقوانين المنطق وهي لذلك مستحيلة. وهذا الضرب هو ما أسماه اللاتينيون بـ " Reductio ad Impossible" ولقد استخدم أرسطو دليل الخلف لكي

يبرهن على صحة كل من Baroco و Bocardo وذلك عندما لم تسعفه استدلالات العكس في ردهما إلى الشكل الأول.

ولقد عمد أرسطو إلى نتائج Baroco و Bocardo واعتبرهما نتيجتين صحيحتين. لأنهما لو لم تكونا كذلك، لكانتا كاذبتين. وهو في الواقع يعتبرهما كاذبتين، كنقطة البداية لدليل الخلف عنده أي أن نقيضهما صادقتان، وهذه المقدمة الأولى نتيجة تناقض إحدى المقدمتين في Baroco . إذن لا يمكن أن تكون المقدمة صحيحة، إذن فإن نقيض المقدمة الأولى هي الصحيحة. ولكن نقيض المقدمة الأولى هي نتيجة Baroco و Bpcardo. إذن فإن هذين الضربين ضربان صحيحان. (٤٣)

ويمكننا أن نعبر عن "Baroco" بالرموز التالية:

(١) كل ك و

(٢) بعض ص ليس و

(٣) إذن بعض ص ليس ك

فلنفرض هذه النتيجة كاذبة، إذن نقيضها هو الصحيح إذا كان:

١) كل ص ك

٢) وكل ك و "المقدمة الأولى في الـ Baroco"

٣) إذن كل ص و

ولكن "كل ص و" كاذبة لأنها نقيض المقدمة الثانية في Baro

إذن إحدى المقدمتين في هذا الـ Barbara أعلاه ينبغي أن تكون ذبة. ولكن "كل ك و" صحيحة لأنها المقدمة الأولى Baroco

إذن فالمقدمة الكاذبة هي "كل ص ك"

ولكن "كل ص ك" هي نقيض نتيجة الـ Baroco .

إذن فنتيجة الـ Baroco "بعض ص ليس ك" نتيجة صحيحة .

إذن الـ Baroco قياس صحيح ويمكن التدليل على صحة Bocar بصورة مماثلة .

والذي حملنا على استخدام دليل الخلف للتعبير عن الحجة رآنية المتضمنة الآتية:

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ هو أن الاستدلال ضمن فيها أكثر تعقيداً مما ظن الغزالي حينما عبر عنه باستدلال مباشر ولكنه بسيط "Modus Tollens" فإن الاستدلال من زاض وجود الهين إلى حدوث الفساد في الكون، ليس بديهياً

ولا مباشراً، ولكن يمكن أن نعبر عن قياس مقتضب وذلك على النحو التالي:

١) إذا كان هنالك أكثر من إله واحد، إذن لاختلفوا

٢) وإذا اختلف الآلهة المدبرة لحدث فساد في نظام الكون .

٣) إذن لو كان فيهما أكثر من إله لحدث فساد في الكون .

ثم نأتي لرفع أو رفض نتيجة هذا القياس الأخير، فنقول:

١) إن هذا الفساد مستثنى بحكم الواقع المشاهد .

٢) إذن فدعوى الخصم التي سلمنا بصحتها لا يمكن إلا أن تكون كاذبة.

٣) إذن فليس هنالك أكثر من إله في الكون .

ولقد وجدنا أن القرآن استخدم دليل الخلف بنوعية (الشنيع أو العبثي المستحيل) كما أنه استخدم التلازم بشكل مكثف بنوعيه:

١) ضرب الوضع بالوضع (أو الإثبات بالإثبات) وهو Modus Ponens

٢) وضرب النفي بالنفي وهو Modus Tollen

وذلك بحسب إصطلاح المدرسيين من اللاتينيين:

(٦-٦) ميزان التعاند:

وهذا الميزان الخامس والأخير من موازين المنطق القرآني عند الغزالي، سواء منها ما كان منسوباً إلى الخليل أو إلى محمد صلى الله عليه وسلم، والغزالي يستخرج ميزان التعاند من الآية الكريمة: - قال تعالى: ﴿ **قل من يرزقكم من السموات والأرض؟ قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ..** ﴾ (٤٤)

ويذكر الغزالي أن هذا الاستدلال فيه إضمار وهو نفي أحد المقطعين في الشرطية المنفصلة. ويمكن أن نعطي الصورة الكاملة لهذا الاستدلال على النحو التالي:

١) إما نحن في ضلال في قولنا. إن الرازق هو الله وإما أنتم في ضلال حين تتنكرون ذلك .

٢) ولكننا لسنا في ضلال (فالرازق في السماء هو الله بالمطر والرازق في الأرض هو الله وذلك بإخراج الزرع من الأرض) .

٣) إذن أنتم في ضلال مبين في إنكاركم ربوبية المولى عزوجل وشكله الرمزي:

(١) (١) إما ق وإما ك (٢) (١) إما ق وإما ك
(٢) لك لا ك (٢) لكن لا ق
إذن ق إذن لك

(٣) (١) إما ق وإما ك (٤) (١) إما ق وإما ك
(٢) لكن ق (٢) لكن ك
إذن لا ك إذن لا ق

ويرى الغزالي أن ميزان التعاند ميزان قطعي يقيني وإن كنا نستخدم فيه العيان الحسي المباشر، وكذلك العقل البرهاني الأول البديهي .

وذلك مثله مثل من دخل داراً ليس فيها إلا غرفتين ونحن ورائه، فدخلنا الدار ونظرنا في الحجرة الأولى فلم نجده (بالعيان الحسي) فنعلم قطعياً بالعيان البديهي البرهاني أنه في الغرفة الثانية، ولكن بشرط، هو معرفتنا اليقينية أنه ليس هنالك غير هذين الاحتمالين على سبيل الحصر المطلق.

١) فهو إما أن يكون في الغرفة "أ"

٢) أو يكون في الغرفة "ب"

٣) وليس هناك إحتمال ثالث* كأن تكون هنالك أشجار في الساحة فهو خلفها أو فوقها أو سواتر أو مخابئ من أي نوع في الساحة نعلم أنه في الغرفة "ب" إذا لم نجده في الغرفة "أ" .

إذن فإن ميزان التعاند يكون صحيحاً إذا ما وضع هذا شرط وهو أن تكون القسمة منحصرة تماماً ولا تعاني أي نوع ن أنواع الإنتشار:

---

* وهذا الحصر إنما يعتمد في الواقع على قانون المرفوع وهو أحد قوانين المنطق الثلاث الأساسية .

(وأما حد هذا الميزان فهو أن كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر: ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لا منتشرة، فالوزن بالقسمة المنتشرة وزن الشيطان وبه وزن بعض أهل التعليم كلامهم في مواضع كثيرة ذكرناها في القواصم وفي جواب مفصل الخلاف والكتاب المستظهري وغيرها من الكتب المستعملة ..) (٤٥)

٧- الاستدلال الشرطي عند الغزالي:

إذا نظرنا إلى موازين الغزالي الخمسة، وكلها مستخرجة ومستنبطة من القرآن الكريم، فإننا نجد أنها ذات طبيعة شرطية، أما تلميحاً أو تصريحاً. فالموازين الثلاثة الأولى هي أشكال القياس الثلاثة المعروفة وهي وإن كانت صياغتها صياغة حملية إلا أنها بالرغم من ذلك ذات طبيعة شرطية لا تخفى على العين الفاحصة فهي تتكلم عن التلازم بين المقدمتين يرجع أيضاً إلى طبيعة الأصلين ذاتها. فالمثال الذي أعطاه مأخوذ من حوار الخليل مع النمرود حول إطلاع الشمس من المشرق:

والمقدمة الكبرى:

إن كل من يقدر على إطلاع الشمس من المشرق فهو إله بحق

وفي العكس المباشر للقضية:

كل إله بحق هو الذي يقدر على إطلاع الشمس من المشرق

فإن مفهوم الإله هو أنه القادر على كل شيء ومن ذلك إطلاع الشمس من المشرق وكأن إطلاع الشمس يلزم لزوماً شرطياً من مفهوم الإله الحق .

إذن فكل أحد، طالما هو إله بحق، فإنه يقدر على إطلاع الشمس من المشرق فإذن هنالك صفة شرطية مضمرة في طبيعة الأصل الأول (أي المقدمة الأولى) وبالتالي تتأكد الشرطية لرؤية الغزالي للموازين الثلاثة الأولى وهي جميعاً موازين قياسية وهذا ما يعطي المناطقة العرب (إبن سيناء والفارابي والغزالي) ميزة وتفوقاً على المناطقة من الذين شرحوا منطق أرسطو فوصلوا به إلى ما يعرف بالمنطق التقليدي والذي هو طبيعة حملية بحتة. ولا بد أن الغزالي قد أخذ هذا الفهم الشرطي للقياس الأرسطي من إبن سيناء الذي فصل ذلك تفصيلاً كثيراً في الشفاء (الجزء الخاص

بالمنطق) كما اهتم إهتماماً واسعاً بالاستدلال الشرطية عموماً وفصلها تفصيلاً دقيقاً ومترامي الأطراف .

وبالنظر إلى زعم بعض مؤرخي الفلسفة أن أرسطو قد عالج القضايا الشرطية بما يشبه الإهمال [٤٦] فإن كثيراً من مؤرخي الفلسفة قد نسبوا الإهتمام بالقضايا الشرطية إلى منطق الرواقيين وهذه مسألة فيها نظر وتحتاج إلى توثيق علمي أكثر مما هو متوافر حتى الآن، لأن منطق الرواقيين لم يصلنا منه إلا أجزاء غير متكاملة .

ولكن الشيء المؤكد أن المناطقة المسلمين وخاصة إبن سيناء، قد اهتموا كثيراً بالقضايا الشرطية. فهل أخذ إبن سيناء وغيره من الفلاسفة العرب هذا المنحى من كتابات أرسطو نفسه، ربما من مصادر لم تصل إلينا، أم أنهم أخذوها من الرواقيين أم أنهم أصلاء في ذلك، فهذا ما يحتاج إلى بحث منفرد وطويل ونرجو بإذن الله أن يتوفر في بحث مستقل إن شاء الله قريباً. غير أنه من المؤكد أن السيرة الشرطية التي تعلو لهجة الغزالي وهو يناقش موازين المنطق ويستخرجها من القرآن الكريم إنما تؤكد أن إهتمام المناطقة الإسلاميين بالقضايا الشرطية، والنظر إلى القياس

من زاوية أنه استدلال شرطي، وأن قضاياه الأولية (أي
انه) كثيراً ما تكون قضايا شرطية في المقام الأول، إنما يؤكد
ذلك عمق المنحى الشرطي وتأصله في التقاليد الأكاديمية
ة الإسلامية في دائرة المنطق. ومهما يكن من وجود تأثيرات
ة، سواء أكانت أرسطية أصيلة، أو رواقية، فإن الحجاج
ي، في منحاه الواسع يتميز بنبرة شرطية واضحة مما نحن
ء في هذه الدراسة. ذلك أن الحجاج والجدل والحوار لهو
ب مطرد و متأصل في طريقة التعبير القرآني. فلم يترك
ن الكريم شاردة ولا واردة من آراء الفرق المناوئة للأنبياء
ل إلا ذكرها، وأعطاها حظها الأوفر في الإيضاح والإثبات
ن يأخذ في الرد عليها بأسلوب علمي رصين، كلما كانت
الآراء المناوئة ذات طبيعة موضوعية وطالما التزم قائلوها
الحوار والجدال البناء المثمر .

لا بد أن الغزالي تأثر بكل ذلك، فهو تلميذ للفارابي وابن
، خاصة ابن سيناء في المنطق، ولكنه أيضاً نظر في القرآن
م وتأثر به أكثر من كل من الفارابي وابن سيناء، والذين
شديدي الإندهاش والإعجاب بمنطق أرسطو ونظرة إلى

كتب الغزالي التي عالج فيها المنطق، خاصة (القسطاس المستقيم) لتدل على عمق تأثر الغزالي بالحجاج القرآني. مما مكنه من محاولة لم يسبق إليها أبداً في (القسطاس المستقيم) أن يستنبط المنطق كله تقريباً من القرآن الكريم سلباً وذلك ببيان الحجج السفسطائية الفاسدة (الشيطانية) وإيجاباً وذلك باستخراج الموازين الخليلية والمحمدية الخمسة .

وكذلك فلقد كان الغزالي أول من أدخل المنطق بصورة واسعة في علم أصول الفقه. تشهد بذلك المقدمة الرائعة التي ضمها كتابه الرائع (المستصفى في أصول الفقه) والتي جمع فيها القدر الضروري اللازم من المنطق لكل من يريد أن يغوص في علم أصول الفقه ذو الطبيعة المنطقية، استنباطاً واستقراءاً. وعبر عن رأيه بوضوح - في تلك المقدمة - أنه يعتبر أن ذلك القدر من المنطق المتضمن فيها يعتبر متطلباً ضرورياً وشرطاً قبلياً لكل طلاب أصول الفقه. وبالطبع فإن الغزالي لم يصل إلى ذلك من فراغ، فإن بذور هذا التفكير واضحة جداً لدى أستاذه الفذ إمام الحرمين، إبي المعالي الجويني، الذي تمكن من جمع الرئاستين الشرعية والعقلية، كذلك فإن البذور الأولى لاستخدام المنطق في الجدال

سلامي توجد عند أوائل المتكلمين خاصة المعتزلة والأشاعرة ووصل هذا الاستخدام للمنطق نضجة وذروته عند الإمام ويني. وورث كل ذلك، وكأنه على موعد مع القدر بشأنه - مام النابغة وحجة الإسلام - أبو حامد الغزالي. ومن هذا طلق فإن الإمام الغزالي قد حمل هذا الإتجاه العقلاني إلى نهاياته طقية في الدراسات الشرعية الإسلامية فوطن ذلك المنطق ضمن هجية الإسلامية و لم تفلح محاولات المدرسة السلفية التي جاءت أعقاب الغزالي من اقتلاع هذا التوطين إلى يومنا هذا .

- الصورية والمادية في موازين الغزالي:

لقد فهم معظم الإسلاميين أن القياس (الأرسطي) لا يفيد ماً بالواقع الخارجي في حد ذاته إلا بواسطة قضايا جزئية وعة من الواقع المحسوس وقضايا كلية عقلية لا قياس من لبتين ولا عن جزئيتين، وبيت القصيد هنا أن القياس لا يقول ناً عن الواقع إلا عن طريق القضايا الجزئية. وبدون هذه القضايا زئية لا يمكن لقياس أن يقول شيئاً عن العالم المحسوس بل يظل حيز الكليات المعقولة. فإذا أردنا استخدام القياس للإعلام

بالواقع وبموجودات العيان فلا بد من استخدام مقدمات جزئية ذات طبيعة تركيبية (بمعنى أنها تقول شيئاً عن العالم المحسوس) .

من هنا جاء إهتمام إبن سيناء (فيما يبدو) بالشرطيات، وبالحمليات الوجودية "Existeneial" خاصة تلك التي تقبل التسوير الزماني ولا بد أن هذا الاهتمام بالشرطيات وبالقضايا الجزئية قد إنتقل إلى الغزالي بتأثير إبن سيناء. ولا بد أن الغزالي قد اطمأن لهذا الإهتمام بالقضايا الشرطية ذات الطبيعة المادية التركيبية، عندما نظر في القرآن الكريم ووجد أن الحجج القرآنية الرئيسية تستخدم في الواقع - القضايا الشرطية وتتضمن - في الواقع الغالب - قضايا مادية جزئية في مقدماتها القياسية .

ولذلك فإن الموازين الخمسة التي استنبطها من القرآن الكريم ونسب بعضها إلى الخليل عليه السلام وبعضها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تحتوي على قضايا شرطية وأخرى جزئية ذات طبيعة مادية واضحة، في الميزان الأكبر (القياس من الشكل الأول) إشارة إلى إله إبراهيم، ضمنية في السياق، وأخرى أيضاً ضمنية وهي الإشارة إلى النمرود وإلى عجزه عن إطلاع الشمس .

١) كل إله يقدر على إطلاع الشمس من المشرق
فهو الإله الحق

٢) ولكن إلهي يقدر على إطلاع الشمس من المشرق

٣) إذن فإلهي هو الإله الحق .

فإذا كانت المقدمة الكبرى قضية كلية شمولية، فإن المقدمة الصغرى قضية جزئية وجودية "Existencial" والقضية الشمولية يمكن إرجاعها بسهولة إلى قضية شرطية متصلة بسور كلي .

وهكذا فإن استدلال إبراهيم استدلال منطقي سليم، بينما يكون استدلال النمرود وادعاؤه إدعاءاً باطلاً .

١) كل إله حق يقدر على إطلاع الشمس من المشرق .

٢) ولكن النمرود لا يقدر على إطلاع الشمس من المشرق

٣) إذن النمرود ليس هو الإله الحق

ولئن عبرنا عن الميزان الأكبر (كما جاء في حجة الخليل) لصورة التقليدية كما نجدها في المنطق الصوري التقليدي، فإنه - كما رأينا - يمكن أن نعبر عنها في صورة قياس مقدمته الكبرى

قضية شرطية، والمقدمتان يلزم عنهما ضرورة نتيجة ذلك القياس، كما توحي بذلك دراسات يان لوكاشيفيتش - التي تجد قبولاً كبيراً في أوساط أهل صناعة المنطق منذ أن نشر كتابه في (نظرية القياس الأرسطية) .

٩- إبن سيناء والقضايا الشرطية:

إن التوسع العظيم الذي استحدثه إبن سيناء في دراسة القضايا الشرطية والقضايا ذات الأسوار الزمانية ليدل على تأثر إبن سيناء بنزعة القرآن الكريم في مزج الاستدلال الاستنباطي بالاستدلال المادي الاستقرائي، وربما يحاول بعض الدارسين* إرجاع نزوع إبن سيناء هنا نحو القضايا الشرطية والقضايا الوجودية المطلقة وذات الأسوار الزمانية، إلى المنطق الرواقي أو الميغاري بعد أن يئسوا تماماً من ردهما إلى منطق أرسطو الأول أو منطق المشائين المتأخرين من تلاميذ أرسطو (٤٨) . ولكن هذه المحاولة مازالت تنتظر مزيداً من التوثيق، خاصة النزعة نحو الشرطيات ونحو الاستدلال الشرطي الذي يمزج الاستنباط مع الاستقراء والذي يفيدنا علماً جزئياً مادياً عن القائم المحسوس بخلاف القياس

الأرسطي الذي لا يقول شيئاً عن العالم، بل يقتصر على تقرير علاقات ذهنية عقلية بين ماهيات الأشياء وأنوعها بغض النظر عن السؤال عما إذا كانت هذه الأشياء أو الأنواع لها وجود متعين في الواقع أم لا .

ولقد فطن بعض الباحثين المعاصرين إلى أهمية الاستدلال الشرطي والدور الكبير الذي يقوم به في عمليات التفكير المنطقي، وكذلك فطنوا إلى أنه الاستدلال الأكثر تمثيلاً لحركة العقل النظري ونزوعه نحو الحجاج والجدل، واحتياجه في ذلك إلى وضع فروض نظرية مجردة - بغض النظر عن تطابق تلك الفروق مع الواقع لأول وهلة أم لا. فروض توضع بصورة مبدئية وينظر أولاً في مدى قدرتها على التفسير والتنوير، فإذا أثبتت قوة جدلية وتفسيرية جيدة تأتي بعد ذلك مرحلة إختبارها من أجل إمتحان مدى تقابلها وتطابقها مع الواقع الخارجي .

من الباحثين المعاصرين من المسلمين الذين يرجعون الاهتمام بالقضايا الشرطية إلى الرواقيين الأساتذة أبوريان وعلي عبدالمعطي [٤٩] وكذلك السرياقوس الذي يعتمد في هذا الصدد على وليام ومارثانيل "Kneale" (صاحب كتاب تطور المنطق) بدرجة

كبيرة، إعترف هو صراحة بذلك وهو يحيل عليه في دراسته القيمة عن القضايا الشرطية عند إبن سيناء والتي أشرنا إليها آنفاً. ولكن المعروف أن أبحاث الرواقيين المنطقية - خاصة المنطق الشرطي عندهم - قد ضاعت كلها إلا نذر قليل ومقتطفات محدودة الأثر نجدها مثبوتة من خلال كتابات كل من سكستوس - أمبريقوس "Empiricus" "Sextius"، وديوجين اللأثرس "Diogenus Leartius" [٥٠] وعلى إفتراض أن إبن سيناء قد إطلع عليها فهي تعطينا تفسيراً كاملاً لهذا الإنعطاف الكبير الذي لا نجده عند إبن سيناء فقط، ولكن هو في الواقع إتجاه عريض عند الفلاسفة المسلمين ويرجع ليس فقط إلى أبي يوسف يعقوب الكندي والذي ابتدع دليل حدوث العالم مناقضاً في ذلك أرسطو والتراث اليوناني في مجمله، ولكننا نجده قبل الكندي بكثير عند جابر بن حيان والمتكلمين ومؤسسي مدارس أصول الفقه عند المسلمين [٥١] فإن ميل هؤلاء جميعاً إلى المنطق الاستقرائي الذي يبتدئ النظر العلمي من العالم المحسوس ثم يصعد في مدارج التجريد العقلي والاستنباطي، لا يمكن بحال إرجاعه كلياً إلى الإتجاه

الرواقي والميغاري في ربط المنطق بالواقع المادي المحسوس. فإن هنالك مؤشر أقرب إلى عقول هؤلاء جميعاً وإلى حياتهم المعاشة وإلى وجدانهم ذلكم هو القرآن الكريم الذي يتلوه هؤلاء صباح ومساء ولا يكاد يفارق آذانهم بالليل أو النهار. والقرآن كثيراً جداً ما يلجأ إلى الاستدلال الاستقرائي الاستنباطي المزدوج .

(٩-١) القرآن والمنطق الشرطي:

أنظر مثلاً قوله تعالى:

- ﴿ **إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض .. ربنا ما خلقت هذا باطلاً .. سبحانك فقنا عذاب النار ..** ﴾ (٥٢)

ففي هذه الآيات إشارة إلى ثلاث مناهج أساسية:

أولاً: هنالك الإشارة إلى النظر التجريبي الاستقرائي الذي يبتدئ بالملاحظة. ولكن هذه الملاحظة ليست ملاحظة عادية تلقائية و عفوية لأنها لم تتعلق بالحقائق أو الوقائع القفل التي هي بلا مغزى علمي مثير وبالرغم من أن اختلاف الليل والنهار مما

يدركه عامة الناس إلا أنه يمكن له أن يندرج في إطار من الكلام لعلمي المتأمل ويدخل ضمن المشروع العلمي وفي إطاره العريض ولكن هذا لا يحدث إلا عند العلماء ذوي الألباب والنظر والتدبر وذوي الخبرة العملية، فهؤلاء يلحظون هذه الوقائع العلمية وتمثل لهم (آيات) وعبر ومحطات للتفكر والتأمل للذكرى والموعظة والعبرة أما السذج وأهل الجهالة والغفلة هؤلاء لا يلتفتون إليها ولا تثير إهتمامهم أو حتى غريزة حب لاستطلاع عندهم، ولا تحرك خيالهم أو توقظ فكرهم فهم عنها محجوبون. وعن مغزاها العلمي غافلون، وفي سكرتهم يعمهون، لاهية قلوبهم فهم عنها معرضون

فسقوط التفاحة أو الثمار من الأشجار أمر مألوف لملايين لبشر، ولكن إسحاق نيوتن وحده هو الذي رأى فيها مغزى علمياً أدى إلى إكتشاف قانون الجاذبية الأرضية بواسطته لأنه كان من أهل العلم وهذا العلم مكّنه أن يرى ما لا يرى غيره . ألم يقل أبويوسف - يعقوب عليه السلام - ﴿**وأعلم من الله ما لاتعلمون**﴾ .

ثانياً: ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى دور العقل الاستنباطي ؛ المنهج الاستقرائي:

(١)دور العقل في انتقاء الملاحظة وتحويلها من ملاحظة عادية تلقائية إلى ملاحظة علمية .

(٢)دور العقل في اقتراح الفروض العلمية عند الملاحظة أو حتى قبل الملاحظة .

(٣)دور العقل في التحقق من الفروض والملاحظات وتأكيد مغزاها العلمي أو عدمه وفي اختبار الفروض في مقابلة الواقع .

(٤)وأخيراً وليس آخراً دور العقل التحليلي. العقل النقدي والعقل التركيبي الذي يعمل لكي يتمكن من الوصول إلى قوانين وأنساق إستنباطية أشمل وأوسع من الظاهرة الجزئية المحدودة وفي وضع ذلك كله في إطار المنظومات العلمية الشاملة ذات المجالات الأرحب والأوسع وذلك في قوله تعالى:

﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض.. ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ .

ثالثاً: هنالك إشارة عميقة إلى المنهج الذوقي القلبي والدور الذي يلعبه في نظرية العلم والمعرفة على حد سواء. وهذه هي الإشارة إلى الألباب وإلى ذكر الله، بحسبان أن ذكر الله مما يجلي القلب ويصقله فيصبح صالحاً لكي تنقدح فيه إلهامات الإلهام والسوانح العلمية الجامعة والكشوفات العرفانية العظيمة. وكل ذلك يحدث بفضل صفاء القريحة وحسن استعداد فطرة الإنسان وبداهة العقل الأولى فتصبح بذلك فطرة فائقة وبديهية مجلوة صقيلة نيرة (٥٣).

ومن إعجاز هذه الآية الكريمة: الإشارة الواضحة إلى التفكير الإفتراضي أو الغرضي وذلك في الإندهاش الكريم المعجز.

- ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً؟ سبحانك ﴾

ففيها جاء هذا الإنكار (لغرض) الخصوم أنه لا غائية في الخلق:

وكأن الحجاج القرآني هنا يمكن صياغته على النحو التالي:

إن هذا الخلق والإبداع لا يمكن أن يكون عبثاً أو صدفة أو أمراً تلقائياً بلا هدف أو غاية.. لأن التكوين المبدع في الكون

والنظام المطرد والإنسجام والغائية لا يمكن أن تكون أمراً إعتباطياً أو عشوائياً.. فحزم العقل وبداهته المنطقية الصارمة ترفض ذلك بشدة وتأباه وكأن القرآن يقول في هذا الصدد:

إذا كان هذا عبثاً إذن فكل شيء جائز حتى التناقض وسابع المستحيلات!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إذ أن من صفاته تعالى ومن أسمائه أنه المحصي، المبدع، المعيد، البصير، القادر، المقتدر. قال تعالى (إشارة إلى البرهاني الكزمولوجي): ﴿ **أفي الله شك؟ فاطر السموات والأرض** ﴾، ولا شك أن الحجاج الشرطي كامن في هذا (التفكر) الذي تشير إليه الآية أعلاه .

ولجوء القرآن الكريم إلى الحجاج الشرطي أمر متوقع وفي محله تماماً وذلك لأن طبيعة العقل الإنساني طبيعة جدلية، فالناس أصحاب جدال وخصومة في الرأي واختلاف في النظر. وكل ذلك إنما يحتاج إلى الأدوات الشرطية الفرضية الاستنباطية .

- إن كان كذلك كان كذا ..
- وإذا كان ذلك كذلك، كان الوضع كيت وكيت وكيت .
- ومهما كان الأمر كذا كان كذا وكذا .
- قال تعالى: ﴿ **وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً..** ﴾

- وقال تعالى: ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ .

من أجل ذلك كان الحجاج الشرطي ذا سيادة وهيمنة وتأثير كبير في أنماط التفكير الإنساني، ويبدو أن الإتجاه الغالب (في عمليات الفكر الإنساني إنما يتخذ الشكل الشرطي بصورة واضحة.. ذلك أن هذا الشكل هو الذي يسمح لنا بإستعراض أوجه الإحتمالات المختلفة لمسألة بعينها، سواء أكانت في الجدل أو في العلم. فالصورة الحقيقية للفكر وهو يعمل إنما تتمثل في النموذج الشرطي للعمليات الفكرية ..) (٥٤)

والمنطق الأرسطي في ضوء الدراسات الحديثة والمعاصرة - ومنذ أن نشر يان لوكاشيفيتس كتابه عن: (نظرية القياس الأرسطية) ذو صبغة شرطية فلم يكن أرسطو بعيداً في نظريته عن القياس عن المفهوم الشرطي وإن جاء هذا المفهوم في شكل مضمر

وحتى لو سلمنا أنه من الممكن أن نستنتج من الشذرات التي بين أيدينا عن المنطق عند الرواقيين - أنهم أول من وضع حدود المنطق الشرطي فإنه لا جدال أن إبن سيناء هو الذي أسس

الاستدلال الشرطي وشيده وحقق فيه إنجازاً كبيراً لم يسبق إليه من قبل، كما أشرنا إلى ذلك من ذي قبل .

ولا نريد هنا أن نستطرد في إبراز نماذج شرطية في القرآن الكريم فهي أكثر من أن تحصى أو تعد .

ونشير مرة أخرى إلى المنطق الشرطي عند إبن سيناء، فنقول أنه بغض النظر عن مصادر إبن سيناء سواء كانت من المنطق الرواقي أو القرآن الكريم، فإن الحقيقة الهامة التي لا ينبغي أن تغيب عن وعينا هي أنه هو الذي بلغ في تطوير الشرطيات ودراستها من كل الجوانب - مبلغاً لا نجد له مثيلاً في تاريخ المنطق قبله، وهذا وحده يكفي للدلالة على وجود رافد قوي وجديد - رافد ملئ بالأفكار الجديدة في الجدال والحجاج غير ما عرفت اليونان من معلمها الأول، ومروراً بتلاميذه وانتهاءاً بالرواقيين والميغاريين - هذا الرافد ليس في الواقع سوى القرآن الكريم وما يتردد في جنبات (الذكر الحكيم) من جدال وحجاج لا يكاد يفتر من فاتحة الكتاب وإلى آخره .

- حوار الله مع آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء والمرسلين .

- وحواره مع الملائكة وأهل الملأ الأعلى .

- وحواره مع إبليس والجن .

- وحواره مع الإنسان عموماً قبل الخلق - في عالم الذرة - وبعد الخلق، مع الكفار والمنافقين وأهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

- وحواره مع السموات والأرض والجبال ... إلخ .

فالحوار إذن منهج أصيل في القرآن الكريم .

(٩-٣) مقدمات الاستدلال الاستنباطي في القرآن الكريم:

العلم يفيد اليقين، في القرآن الكريم، وبلغة المنطق فإن الاستدلال البرهاني يعتمد على مقدمات يقينية، وهذا ما نجده في نظرية البرهان عند أرسطو، فإن القياس لا يقود إلى نتيجة صحيحة بالضرورة إلا إذا كانت المقدمات صادقة يقينية الصدق، وهذا ما يميز القياس البرهاني الذي يفيد العلم عن الأقيسة الجدلية أو الخطابية أو حتى السفسطائية في نظرية القياس الأرسطية .

ولكن القرآن الكريم يستخدم مقدمات هي مشاهدات أو مجربات مأخوذة من الواقع والتجربة والخبرة الإنسانية في مجال الاستدلالات ذات الصيغة البرهانية الاستنباطية التي تفيد العلم

ذي لا ريب فيه. وهـذا مـا يفـارق منطـق أرسـطو البرهـاني في
رين:

١) الأمر الأول هو أن القـرآن يعـد مـن الأولويـات الواجـب
قبولها، قضايا ليست لها صفة البداهة ولا التسليم التصوري
الأولي.

٢) الأمر الثاني يثيره مـرة أخـرى موقـف القـرآن مـن مسـألة
مادية الاستدلال أو صوريته .

أمـا بالنسـبة للأمـر الثـاني، فليـس هنـالك شـك أن الأقيسـة
رآنية كلها، بما في ذلك موازين الغزالي الخمسـة، في القسـطاس
ستقيم، ليست أقيسة صورية، بل هي أقيسة لها فحوى مادية بل
، بعـض المناطقـة وإن قبلـوا بـالمبدأ القـائل إن نظريـة القيـاس
أرسطية ذات طبيعة صورية إلا أنهم لا يفهمـون هـذه الصوريـة
لى اعتبار أنها أمر مناف تماماً للمادية. فالمفاهيم والماهيـات عنـد
سطو - وكما هو معروف - مأخوذة من الجزئيات:

هذا المعنى يؤكده د. مهران في المقدمة القيمة التي صـدَّر بهـا
جمته الممتازة لكتاب نقولا ريشير (تطور المنطـق العربـي) يقـول
كتور مهران: (٥٥)

(إن الصورية عند أرسطو كان لها معنى مختلف عن الصورية كما يفهمها الباحثون عادة في الدراسات المنطقية الحديثة) ثم يقول بعد ذلك أن المفاهيم (تحقق فعلياً في مجموعة من الجزئيات التي تنتمي إلى نفس الجنس) ثم يختتم حديثه قائلاً:

(وبهذا المعنى تكون الخاصية الصورية للمنطق الأرسطي خاصية مزدوجة: فهو صوري لأن موضوعه هو الصور الواضحة للأشياء، وليس للأشياء ولأنه ينحى جانباً المادة المرتبطة بالشيء المادي الذي يجسد الفكرة..) .

والذي يثير إهتمامنا في هذه الفقرة من هذه الدراسة، هي الطريقة التي يستخدم فيها القرآن الكريم، مقدمات مأخوذة من الواقع المادي عندما يقيم استدلالاته الاستنباطية. علماً بأن هذه الاستدلالات كلها تأخذ صورة القياس البرهاني الذي يفيد علماً يقينياً .

- قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام:

- ﴿ أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، واضمم ليك جناحك من الرهب، فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإيه ﴾ (٥٦)

- وقال تعالى:

- ﴿ فإن لم يستجيبوا لك، فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ﴾ (٥٧)

- وقال، تعالى أيضاً في سورة القصص على لسان قارون:

- ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي، أو لم يعلم أن الله قد هلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً ﴾

فالآيات الأولى والثانية أحدهما من المشاهدات الحسية، الثانية من التجربات والمسائل التي تعرف بالخبرة الإنسانية الطويلة، ا الآية الأخيرة، والمتعلقة بقارون فهي من الأخبار المتواترة في قرآن الكريم والسنة النبوية، لأنهما أخبرا مراراً وتكراراً عن مم الظالمة التي كذبت الرسل واتبعت أهواءها، وكيف أخذهم لله بذنوبهم وقد كان منهم من هم أشد قوة وأكثر جمعاً من قوم رون .

والإشارة إلى هذه المتواترات المأخوذة من تاريخ الأنبياء مع أقوامهم كثيرة في القرآن، وهي بلا شك تفيد العلم اليقيني، كما صرح بذلك القرآن، وكما هو الأمر في واقع الأمر، عندما تنقل الخبر جماعة مستفيضة من أناس عاقلين خبراء ليس بينهما تواطؤ على الكذب أو التدليس، بل أن هذا التواطؤ والتدليس أمر بعيد جداً عنهم بحكم الواقع. وإن كان هذا التواطؤ ممكن من ناحية نظرية بحتة ونقصد به الإمكان المنطقي المطلق، ولا نقصد به أدنى درجة للإحتمال .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تقيم الأدلة البرهانية مستندة على المشاهدات المحسوسة وعلى المجربات، قوله تعالى:

- ﴿ **أو كالذي مرَّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك، ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ثم**

سوها لحماً، فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء
ير ﴾ (٥٨)

وهذه الآية كنز من الاستشهاد على طريقة القرآن الكريم في
جاج الاستنباطي. وفي أخذ مقدمات، من المشاهدات
لمجربات، وأنها تفيد العلم اليقيني الذي لا تبقى معه شبهة أو
ب. والرجل أو النبي المشار إليه في الآية، إبتداء يعجب من
رة الله على إحياء القرية الخاوية على عروشها، فأقام الله
هان على قدرته في إحياء الموتى بإماتة الرجل أو النبي، ثم بعثه
ذا البرهان صورته كالتالي:

١) الذي يحيي الناس بعد موتهم، قادر على بعث
هذه القرية .

٢) والله قد أحياك بعد موتك .

٣) إذن فالله يحيي الناس بعد موتهم .

إذن فالله قادر على بعث هذه القرية الخاوية (١)،

(٣)ثم أراد إعلام الرجل بالمدة التي كان مائتا فيها
نها قد بلغت مائة عام بالتمام والكمال

ل للرجل: أنظر إلى حمارك!!

فنظر الرجل أو النبي فوجد الحمار قد تحول إلى كومة من العظام بينما ظل طعامه وشرابه طازجاً لم تتغير رائحته (لم يتسنه). وهذا دليل آخر على قدرة الله في الإحياء والإماتة (الصيرورة والفساد) ثم أعطى الله الرجل أو النبي دليلاً مشاهداً بصورة مباشرة ماثلة أمام العيان إذ أمر الحمار أن يعود إلى الحياة مرة ثانية والرجل أو النبي ينظر إلى المعجزة تحدث تحت بصره وسمعه المباشر.

- فالعظام تنشز وتركب أمام عينيه
- ويكسوها اللحم أمام عينيه أيضا

وهذه المشاهدات تفيد العلم اليقيني البرهاني في القرآن الكريم ﴿ **قال أعلم أن الله على كل شيء قدير..** ﴾

ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم للمشاهدات والمجربات، كمقدمات أولية للاستدلال الاستنباطي المؤدي إلى العلم اليقيني، قوله تعالى مخاطباً إبراهيم عليه السلام:

- ﴿ **وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال بلى! ولكن ليطمئن قلبي! قال فخذ أربعة من الطير**

فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، لم ادعهن يأتينك سعياً، واعلم أن الله عزيز حكيم .. ﴾ (٥٩)

وعلى ضوء هذه الآيات، وما تنطوي عليه من أخذ مقدمات للحجج البرهانية من المشاهدات المحسوسة، ومن المجربات، ومن المتواترات، ثم تصيغ منها أدلة وبراهين تفيد العلم اليقيني، نستطيع أن نفهم ما ذهب إليه إبن سيناء، والغزالي بعده، من القول بأن المتواترات المنقولة عن جماعة مستفيضة، متواترة، كل واحد منهم عدل ثقة تفيد العلم اليقيني. ونجد في هذه الآيات ثباتاً قوياً على أن إبن سيناء قد أخذ هذه الفكرة من القرآن الكريم وأنه أصل لها في نظرية القياس الأرسطية التي تجعل مقدمات القياس البرهاني مقدمات أولية صورية تفيد علاقات كلية ضرورية، ولكنها لا تقول شيئاً عن الواقع المادي الجزئي، ليست في الأعيان، إلا كما يكون الجنس والنوع ملحوظاً في الجزئيات المادية المحسوسة (٦٠).

الخاتمة:

ليس هذا مجالاً للخوض في نظرية إبن سيناء عن القياس وما احدثه فيه من تجديدات، خاصة في كتابة (منطق المشرقيين) ولكن لنا عودة (إن شاء الله لمنطق إبن سيناء، خاصة الشرطيات عنده وما ابتدعه من نظرية متكاملة في ذلك، وما جاء به من أفكار في الأسرار الزمانية. ولكن يبدو لنا أن إبن سيناء قد تأثر بالحجاج القرآني أكثر مما اعترف به الدارسون له، خاصة من العرب أنفسهم، إذ أن معظمهم بما في ذلك المشاهير منهم، يقولون أن إبن سيناء لم يأت بجديد في المنطق. وإن الأفكار التي نجدها عنده والتي لا نستطيع ردها إلى المشائين، فيمكن أن ترد إلى الرواقية والميغارية. ولكن إبن سيناء نفسه يرفض هذا الرأي ويقول بالحرف الواحد أنه أتى بكثير من الآراء الجديدة في المنطق، لم يضمنها (الشفاء) ولكنه ضمنها كتابه (الفلسفة المشرقية) (٦١)

فإبن سيناء يصرح أن (الشفاء) لا يحتوي على آرائه الحقيقية وإنما هو مدخل للمنطق المشائي كتبه لتلاميذه وبطلب منهم،

ولكن من أراد (الحق لا جمجمه فيه عليه بكتاب (الفلسفة المشرقية) [٦٢]

إننا إذ نختتم هذه الدراسة عن الحجاج الاستنباطي في القرآن الكريم نعلم أننا لم نفعل شيئاً أكثر من مجرد التنويه بأن القرآن الكريم قد استخدم المنطق الاستنباطي كواحد من أساليب الحجاج فيه. ونرجو أن نتمكن من إجراء المزيد من الدراسات في هذا وفي الأساليب الأخرى المتعددة والعميقة الدلالة على إعجاز القرآن في نظرياته الاستدلالية.. ونرجو أن نتمكن من إصدار دراسات أخرى عن الأساليب المتعددة التي انفرد بها القرآن من استقراء علمي ممزوج بالاستنباط! وتمثيل، ومن استخدام لكثير من طرق الإقناع الحق بأساليب كثيرة ومتعددة، وخاصة أساليب:

١) التحليل النفسي وفضح النوايا والمواقف النفسية والحياتية.

٢) المناهج الوثائقية التاريخية التي تعتمد على المتواترات والأسانيد الموثقة .

٣) أساليب التمثيل وضرب الأمثال والقصص .

٤) وغيرها من أساليب الحجاج القرآني الثري المعجز

كذلك فإننا نرجو أن تصدر دراسة مستقلة عن نظرية، العلم في القرآن الكريم في إطار مقارن بخصائص العلم في الدراسات والمناهج الحديثة والمعاصرة، وكل ذلك ضمن سلسلة من الدراسات عن: (القرآن الكريم والفلسفة) بإذن الله. ونرجو أن تكون في هذه الدراسات رسالة إلى الذين مازالوا يعتقدون أنه (من تمنطق فقد تذندق) فإن هذه الدراسات تشير إلى العكس من ذلك، وأنه (من تمنطق فقد تحقق) [٦٣]. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش

١) القرآن الكريم، سورة النحل (١٦: ١٢٥) .

٢) القرآن الكريم، سورة العنكبوت (٢٩: ٤٦) .

٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء (٢١: ٢٤) .

٤) القرآن الكريم، سورة البقرة (٢: ١١١) .

٥) القرآن الكريم، سورة النساء (٤: ١٧٤) .

٦) القرآن الكريم، سورة القصص (٢٨: ٣٢) .

٧) القرآن الكريم، سورة الحج (٢٢: ٨) .

٨) أنظر في ذلك:

أ. الدكتور/ محمد يوسف موسى (القرآن والفلسفة)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة ص/٢٢ وما بعدها .

ب. وكذلك: د. محمد علي أبوريان (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام) تاريخ ١٩٧٣م .

٩)د. محمد يوسف موسى (القرآن والفلسفة) الطبعة الرابعة ص/٣٥

١٠) القرآن الكريم، سورة الأنعام (٦: ١٥٩) .

١١) أنظر في ذلك:

سيد قطب: (أ) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق (١٩٨٣م) ص/ ١١-١٤ .

سيد قطب: (ب) في ظلال القرآن:

(لقد ذهب الأستاذ سيد قطب هنا إلى القول بأن هنالك تناقض تام بين الفلسفة الإسلامية المأخوذة من فلسفة اليونان الوثنية الأصول المبنية على أساطير فلاسفة اليونان الوثنيين وبين منهج القرآن والسنة، بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة .

١٢- أنظر في ذلك مؤلفاتنا في هذا الصدد:

د. زكريا بشير إمام:

(أ) الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي (كتاب) مكتبة الفلاح ١٩٨٩م .

(ب) تأملات في فلسفة الغزالي النورانية (بحث)

مجلة كلية الآداب - جامعة الإمارات ١٩٨٧م .

(ج) هل كان الغزالي إشراقياً؟ .

مجلة الآداب - جامعة الإمارات ١٩٨٨م .

(د) سيادة (إحياء علوم الدين للغزالي) وأثرها في الفكر الإسلامي ضمن كتابنا (دراسات نقدية في الفلسفة الإسلامية) تحت الطبع - الدار السودانية للكتب .

١٣- القرآن الكريم، سورة يونس (١٠: ٦٨) .

١٤- القرآن الكريم، سورة الصافات (٣٧: ١٥٦) .

١٥- القرآن الكريم، سورة غافر (٤٠: ٢٣) .

١٦- القرآن الكريم، سورة الواقعة (٥٦: ٥٨، ٥٩)، (٥٦: ٦٨، ٦٩)، (٥٦: ٧١، ٧٢) .

١٧- القرآن الكريم، سورة النازعات (٧٩: ٢٧) .

١٨- القرآن الكريم، سورة هود (١١: ١٧) .

١٩- القرآن الكريم، سورة فصلت (٤١: ٥٢) .

٢٠- القرآن الكريم، سورة غافر (٤٠: ٥١) .

٢١- القرآن الكريم، سورة المؤمنون (٢٣: ٩١، ٩٢) .

٢٢- القرآن الكريم، سورة الأنبياء (٢١: ٢٢) .

٢٣- القرآن الكريم، سورة الإسراء (١٧: ٤٢) .

٢٤- القرآن الكريم، سورة النساء (٤: ٨٢) .

٢٥- أنظر موريس بوكاي: الإنجيل، القرآن والعلم، مترجم عن الفرنسية .

٢٦- القرآن الكريم، سورة آل عمران (٣: ٧٩، ٨٠) .

٢٧- القرآن الكريم، سورة البقرة (٢: ٢٣) .

٢٨- القرآن الكريم، سورة الطور (٥٢: ٣٣، ٣٤) .

٢٩- القرآن الكريم، سورة الحجرات (٤٩: ٤) .

٣٠- القرآن الكريم، سورة الطور (٥٢: ٣٥) .

٣١- أنظر في ذلك كتب الغزالي:

أ/ القسطاس المستقيم .

ب/ معيار العلم .

ج/ محك النظر .

د/ المستصفى في أصول الفقه (المقدمة) .

٣٢- أنظر في ذلك:

- نقد المنطق لإبن تيمية .

- الرد على المنطقيين لإبن تيمية أيضاً .

- د. محمد مهران، علم المنطق- دار المعارف (بلا تاريخ) ص/ ٤٣ .

٣٣- القرآن الكريم، سورة الأنبياء (٢١: ٣٤) .
٣٤- الغزالي: القسطاس المستقيم: ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، الغزالي: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦م .
٣٥- القرآن الكريم، سورة الأنعام (٦: ٨٣) .
٣٦- القرآن الكريم، سورة البقرة (٢: ٢٥٨) .
٣٧- أنظر: يان لوكاشيفتش (نظرية القياس الأرسطية) ترجمة د. عبدالمجيد صبرة، الناشر: دار المعارف بالإسكندرية ١٩٦١م، أنظر بصفة خاصة من ١٣ إلى ٣٥ .
٣٨- القرآن الكريم، سورة الأنعام (٦: ٧٦) .
٣٩- القرآن الكريم، سورة الأنعام ٠٦: ٩١) .
٤٠- القرآن الكريم، سورة الأنبياء (٢١: ٢٢) .
٤١- القرآن الكريم، سورة الإسراء (١٧ :٤٢) .
٤٢- القرآن الكريم، سورة الأنبياء (٣١: ٩٩) .
٤٣- يان لوكاشيفتيش: (نظرية العلم الأرسطية)، ترجمة د. عبدالمجيد صبرة .
٤٤- القرآن الكريم، سورة سبأ (٣٤ :٢٤) .

٤٥- الغزالي: القسطاس المستقيم، ص ٢٩، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي .

٤٦- أنظر في ذلك:

- د. محمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي ج/٢ .

- د. محمد علي أبوريان و د. علي عبدالمعطي: أسس المنطق الصوري ومشكلاته، ص ٣٠٨، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

٤٧- من المتكلمين الذين اشتهروا بمعرفة العلوم اليونانية، خاصة المنطق، واستخدموا ذلك في جدلهم الكلامي أبي الهذيل العلاف. والنظام من المعتزلة وأبي الأشعري والباقلاني من الأشاعرة .

٤٨- أنظر: د. محمد السرياقوسي: مبحث القضايا الشرطية وتقابلها وتلازمها عند إبن سيناء (رؤية معاصرة)، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٩٨٨م - القاهرة .

(إن إبن سيناء تناول القضايا الشرطية والمنفصلة بتفصيل لم يسبق له مثيل... وقد خالف بذلك تلامذة أرسطو، ومن

تابعهم كابن رشد، وكان على اتفاق مع الرواقية، ومع المنطق الحديث) .

٤٩- أنظر: د. أبوريان ود. علي عبدالمعطي: أسس المنطق الصوري ومشكلاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٨٧٦م، أنظر ص ٣٠٩ وما بعدها .

٥٠- المصدر السابق- ص ٣١٠ .

٥١- أنظر:(أ) د. زكريا بشير إمام: منهجية جابر بن حيان.. بين الفلسفة اليونانية وأصول الفقه عند المسلمين - تحت الطبع (مجلة كلية لشريعة والقانون) جامعة الإمارات العربية المتحدة .

(ب) د. علي سامي النشار: مناهج البحث العلمي عند مفكري الإسلام

(ج) د. علي عبدالمعطي ود. محمد السرياقوسي. دور العرب والمسلمين في إبداع المنهج التجريبي، نشر ضمن كتاب أساليب بحث العلمي للمؤلفين .

٥- القرآن الكريم، سورة آل عمران (٣: ١٩١، ١٩٢) .

٥- أنظر الغزالي:

المنقذ من الضلال .

/ إحياء علوم الدين .

/ الرسالة الدينية .

كذلك كتاب: د. زكريا بشير إمام: الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي، مكتبة الفلاح - الكويت ١٩٨٩م .
٥٤- د. أبوريان ود. علي عبدالمعطي: المنطق الصوري ص ٣٨ .
٥٥- د. محمد مهران: تطور المنطق العربي، ترجمة عربية لكتاب نقولا ريشر، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥م صفحة ٣٤ ومـ بعدها .
٥٦- القرآن الكريم، سورة القصص (٢٨: ٣٢) .
٥٧- القرآن الكريم، سورة القصص (٢٨: ٥٠) .
٥٨- القرآن الكريم، سورة البقرة (٢: ٢٥٩) .
٥٩- القرآن الكريم، سورة البقرة (٢: ٢٦٠) .
٦٠- إبن سيناء: الإشارات والتنبيهات، تحقيق د. سليمان دنيا ، ص ١٧٠ وما بعدها، طبعة دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٤٧ .
٦١- أنظر في ذلك المقدمة القيمة التي كتبها د. سليمان دنيا والتي صدر بها تحقيقه لكتاب (الإشارات والتنبيهات) لإبن سيناء والمشار إليه أعلاه .
٦٢- المصدر السابق ص ٨ .
٦٣- هذه العبارة مأخوذة أو مقتبسة نقلاً عن د. مهران في نقاش شخصي حول الموضوع .

اساليب الحِجاج في القرآن الكريم

اذج من الحجج الاستنباطية ٩
– الغرض من هذه الدراسة ٩
دل حسن وجدل سيء ١٣
درستان في الاسلام ١٥
آن لا يسمح الا بالنظرة العلمية المدعمة بالبرهان ٢٦
ط الحجج الاستنباطية في القرآن الكريم ٢٤
استدلالات استنباطية بسيطة ٢٤
رهان باسكال ٢٩
دليل الخلف ٣١
امثلة اخرى للاستدلال الشرطي المتصل ٤٠
امثلة اخرى للاستدلال الشرطي المنفصل ٤٣
القياس ٤٤
الي والموازين القرآنية ٤٥
الميزان الاكبر (الشكل الاول من القياس) ٤٧
الميزان الاوسط (الشكل الثاني من القياس) ٤٩
الميزان الاصغر (الشكل الثالث من القياس) ٥٠
ميزان التلازم ٥١
ميزان التعاند ٥٧
ستدلال الشرطي عند الغزالي ٦٠
ورية والمادية في موازين الغزالي ٦٥
سيناء والقضايا الشرطية ٦٨
آن والمنطق الشرطي ٧١
مات الاستدلال الاستنباطي في القرآن الكريم ٧٨
اتمة ٨٦
امش ٨٩

المركز القومي للإنتاج الأعلامي

١ – سلسلة دراسات في القرآن الكريم:

صدر منها:

١/ مفهوم العلم في القرآن الكريم ..... د. زكريا بشير إمام

٢/ أساليب الحجاج في القرآن الكريم:

نماذج من الحجج الإستنباطية ..... د. زكريا بشير إمام

٣/ أساليب الحجاج في القرآن الكريم:

قياس التمثيل القرآني:

خصائصه وإستخداماته ..... د. زكريا بشير إمام

تحت الطبع

١/ نظرية التوحيد في القرآن الكريم ..... د. حسن عبدالله الترابي

٢/ الظاهرة النفاقية في القرآن الكريم ..... الأستاذ/ صلاح عوض

- سلسلة رسائل البعث الحضاري

صدر منها:

/ من معالم النظام الإسلامي ..... د.الترابي - سليم العوا - والغنوشي
/ مقاصد الشريعة الإسلامية .... عبدالله محمد الأمين - ويوسف بشير أحمد
/ نظرات في تأصيل المعرفة ..... د.النجاني عبد القادر ...
د. طه جابر العلواني - محجوب عبيد
/ القرآن وفلسفة السياسة ..... د. النجاني عبد القادر حامد
/ منهجية لدراسة أصول التصوف ..... د. عبدالله حسن زروق
/ الفكر السياسي الإسلامي والعلمانية ..... د.النجاني عبد القادر حامد
/ العلاقات الدولية - أثرها على دولة الرسول ﷺ . د. النجاني عبد القادر حامد

تحت الطبع

/ أصول التفكير الإسلامي ..... أمين حسن عمر
/ الدولة والمجتمع في الإسلام ..... د. حسن سيد سليمان
/ المبادىء الأساسية للسياسة الشرعية ..... الشيخ/أحمد محجوب حاج نور
/ معوقات الاقلاع الحضاري ومحركاته ..... أزهري النجاني عوض السيد
/ المدخل لعلوم السنة ..... د. اسماعيل حسن حسين
/ تأصيل النظام السياسي ..... د. غازي صلاح الدين
/ التأصيل في جانب التعليم ..... عبد الباسط عبد الماجد
/ التأصيل في جانب التشريع ..... أحمد ابراهيم الطاهر
/ التأصيل في الجانب الإداري ..... د. الهادي عبد الصمد
/ قراءات حركية للسيرة النبوية .... د.النجاني عبد القادر حامد

هذا الكتاب

يهدي هذا الكتاب إثراءً للمكتبة الإسلامية وليضيف إضافة حقيقية في اجتهادات (الفكر الإسلامي الفلسفي) الذي تصدر محصولاته في العصر الحديث .. وقد استخدم الكاتب مصطلح (الحجاج القرآني) للإشارة إلى أساليب الاستدلال في القرآن بالحجاج أي إقامة الحجة الصادقة إشارةً لها على مصطلحات الفلاسفة . فالجدل مفهوم عند إفلاطون وله مفهوم عند أرسطو . ولكن مهما أساليب في الجدال وفي الاستدلال وفي الإقناع ..

وقد استخدم القرآن أساليب الحجاج الحق والإقناع الصادق، واستخدم الحجج البرهانية والاستنباطية والأقيسة البرهانية ذات المقدمات الصادقة اليقينية .. كما استخدم استدلالات مختلفة بعضها استنباطي وبعضها استقرائي قائم على مقدمات علمية .. مأخوذة من الواقع المشاهد ومن الخبرة الإنسانية ..

وهذه الدراسة خصصت للحجج ذات الطبيعة الإستنباطية وهي تتابع استخدام القرآن الكريم لها ومحاولات هذا الاستخدام وأغراضه المختلفة كذلك فهي تسعى لإعطاء أكبر قدر من أنماط هذه الحجج، كما استخدمها القرآن الكريم بعرض تسليط مزيد من الضوء على منطق القرآن الكريم في الحجاج العقلي ..

وقد أكد القرآن مبدأ الحجاج وذلك ضمنياً بأن اعتمد الحوار والجدال البناء أسلوباً أصيلاً في توجيه الخطاب إلى العقل .. بل إن من أميز خصائص التعبير القرآني أخذه بأسلوب الحوار وبالجدل البناء الذي يهدف للحصول على الحقيقة .. كذلك فهو يبني إستراتيجيه جدلية في أقناع المجال المرأى الآخر .. وإعطائه الفرصه الكافية لتغيير الدقيق عن هذا الرأي .

المركز القومي للإنتاج الإعلامي
الخرطوم - ص.ب: ٣٩٣٦
هاتف: ٧٨٢٨٦٥ - ٧٨٢٨٤٦ - ٧٨٢٨٤٨